

واليونانية - كلفة علم ضرورية للاحاطة بالعلوم العالية ، كما انها تركت في اللغات الاوربية عددا غير قليل من الاصطلاحات العلمية ، التي لا تزال مستعملة فيها حتى الان .

فلماذا لا تتمكن من النهوض مرة ثانية والتكيف بمقتضيات العصور الحاضرة ، كما كانت تكيفت من قبل تكيفا تاما بمقتضيات العصور القابرة ؟

لا شك انها ان احست اليوم عاجزة وفقيره - بعد ان كانت بالامس غنية وقديرة - فما ذلك الا لان المتكلمين بها قد انقطعوا عن مزاوله العلوم منذ قرون ، ولانهم حسبوا اذهانهم في دائرة ضيقة من الادبيات والشريعات ، منصرفين اليها عن كل ما سواها . وكأني باللغة العربية قد ظلت داخل هذه « الشرنقة المعنوية » جامدة خامدة ، لا تتحول ولا تتكيف ، ولا تنمو ولا تتطور .

ان المصطلحات وليدة الاحتياجات ، فانها لا تتكون الا عندما يشعر الناس بالحاجة اليها ، ولا يشعر احد بالحاجة اليها الا عندما يفكر بمدلولاتها ، فيضطر الى البحث عنها في احاديثه او كتاباته . ولهذا السبب عندما انقطع الناطقون بالصاد عن التفكير في مواضع العلوم توقف نمو اللفة ونشوء الاصطلاحات بطبيعة الحال . واما عندما اخذنا نلتفت الى العلوم الحديثة فقد صرنا ندرسها وندرسها باللغات الأجنبية ، فلم نعرب منها الا مبادئها . ويمكننا ان نقول ان عمر الدراسة الثانوية في البلاد العربية لم يتجاوز ربع القرن (1) ، اما الدراسة العالية فهي لا تزال في حالة الجنين ، فلا غرابة والحالة هذه اذا ظلت العربية فقيرة من وجهة الاصطلاحات العلمية .

اما وقد بدأت منذ مدة تباشير النهضة الفكرية وزاد عدد الذين يدرسون ويدرسون ويكتبون في المواضيع العلمية فقد اخذ « الشعور بالحاجة الى الاصطلاحات » يتقوى من يوم الى يوم ، وصار المفكرون والكتاب يقدمون على استحداث الاصطلاحات ونحن لا نشك في ان هذه الحركة العلمية ستجمل اللفة العربية غنية بالاصطلاحات التي تحتاج اليها في امد غير طويل .

الا ان هذه الحركة لم تجد الى الآن حظا كافيا

من « الاهتمام التنظيمي » لذلك صرنا نرى تبليلا في المصطلحات المستعملة من قبل الكتاب المختلفين ، وخلافا بينا في امرها ليس بين الاقطار العربية فحسب بل بين الكتاب الذين يعملون ويكتبون في القطر الواحد ايضا .

اننا نرى هذه الاختلافات طبيعية نوعا ما ، ولا نجد فيها ما يستوجب قلقا كبيرا ، لاننا لا نشك في ان هذه الكلمات المختلفة ستتغربل وتتصفى ، وسيبقى في ساحة الاستعمال اوفقها واصلحها . ولذلك نحن لا نخشى تعدد الآراء والاقتراحات والاستعمالات ، بل نعتقد انها لا تزلو من بعض الفوائد ، لانها تفسح مجالا أوسع « للاصطفاء الارتقائي » بحكم قانون « بقاء الاصلح » فلا مجال للتخوف اذن من شيء ما خلا الركود والجمود . فالحركة الحقيقية والمستمرة ستؤول حتما الى توليد احسن الاصطلاحات وتعميمها . كلنا يعلم ان كلمة (تلفون) الافرنجية تغلبت على الكلمات العربية التي اقترحها بعض اللغويين في حين ان كلمة (طيارة) العربية تغلبت على الكلمات الافرنجية التي استعملها بعض الكتاب في بادئ الامر . فالخلاف حول هذه الكلمات لم يستمر طويلا ، لان الحاجة الى استعمال مدلولاتها قضت على المناقشة النظرية سريعا . وكذلك تعبيرات « اللامركزية » و « الدستورية » و « الاندبا » تعميمت بسرعة كبيرة عندما اخذت التطورات السياسية تدخل مدلولاتها في اذهان الناس وتضطرهم الى البحث عنها ، وذلك بدون ان يبقى مجال طويل للمناقشات النظرية حولها ويسدون ان تحدث بلذلة من جرائها .

فاذا ما بقينا الى الآن محرومين من معظم الاصطلاحات العلمية واذا ما راينا بلذلة واضحة حول بعض تلك الاصطلاحات فما كل ذلك الا لان الحركة العلمية لا تزال في حالة بدائية ، كما ان الصلات الادبية بين المفكرين والمعلمين الذين يشتغلون في الاقطار العربية المختلفة لا تزال ضعيفة ، حتى ان وسائل التعارف والتعاون بين المشتغلين في القطر الواحد ايضا لا تزال غير كافية ، ونحن لا نشك في انه كلما اشتمت الحركة وتعممت ، وكلما ازدادت الصلات واستحكمت ، ازدادت المصطلحات الحديثة وتوحدت ، فلا يبقى اثر للبلذلة التي نشاهدها الآن .

(1) يلاحظ ان هذا البحث كان قد نشر عام 1928 - في مجلة « التربية والتعليم » في بغداد .

اللغة والعلوم في البلاد العربية المختلفة ، وتمييد النظر في الامر بعد ورود الاجوبة ومناقشتها ، وتتخذ قرارها النهائي بعد هذه التدقيقات والمخابرات والمناقشات كلها .

وكانت اللجنة قد بدأت في ترتيب «النشيبات» وجمع المعلومات ، الا انها تشقت على اثر اندراس الحكومة العربية ، قبل ان تجد مجالا لانجاز عمل من الاعمال التي كانت تستهدفها .

وقد تالفت لجنة رسمية اخرى في مدينة السلام(2) سنة 1926 لتقرير الاصطلاحات العلمية ، الا انها الفيت لاسباب لا مجال لشرحها بعد مدة وجيزة قبل ان ننجز عملا ذا بال ، مع انها كانت قد وضعت « خطة علمية » لعملها ، و « اعتبرت المواد الآتية قواعد وديساتير تتبعها فيما تضعه وتقرره من المصطلحات العلمية والكلمات اللغوية » :

« 1 - ان الاشتقاق قياسى في اللغة قياسا مطلقا في اسماء المعانى التي هي عرضة لطروء النفر على معانيها ، ومقيد بمسيس الحاجة في الجوامد .

« 2 - ان وضع الكلمات الحديثة في اللغة يجري : اما على طريقة الاشتقاق واما على طريقة التعريب . ولا مانع من الجمع بينهما ، ويرجع النحت عند الحاجة .

« 3 - لا يذهب الى الاشتقاق في وضع كلمة حديثة الا اذا لم يعثر في اللغة على ما يؤدي معناها ، بخلاف التعريب فانه يجوز تعريب كلمة اعجية مع وجود اسم لها في العربية كما هو الشأن في كثير من المعربات الموجودة في اللغة .

« 4 - يشترط في الكلمات التي تختار من كتب اللغة ليعبر بها عما حدث وتجدد ان تكون مانوسة غير نافرة ، والا وجب تركها والذهاب الى طريقة الاشتقاق او التعريب .

انا نقول ذلك لتبين انه ليس هناك ما يدعو الى التشاؤم . ولا نقصد من قولنا هذا انه ليس ثمة ما يستلزم العمل والجهود . بل انا بعكس ذلك نعتقد انه قد حان وقت تنشيط العمل وتنظيم المساعي حول هذه المسائل ، وانه قد اصبح من الواجب علينا ان نتوسل بكل الوسائل الممكنة لتشجيع الحركة وتنظيمها :

(ا) - بتداول الآراء بين المفكرين والمعلمين ببحايات ومذاكرات خصوصية .

(ب) - بفتح باب المناقشة والبحث في المجالات حول مسألة الاصطلاحات .

(ج) - بعرض هذه المسائل على مؤتمرات تعقد من حين الى حين ،

(د) - بايجاد هيئات مستديمة تستغل بهذه الامور ، وتسمى لتنظيمها بصورة مستمرة (1) .

كنا الفنا لجنة اختصاصية رسمية النظر في امر الاصطلاحات العلمية في دمشق الشام سنة 1920 ، وكانت اللجنة اخذت على عاتقها ان تقرر في بساديء الامر الاصطلاحات العلمية المدرسية التي يحتاج اليها المعلمون في الدراسة الثانوية ، وان تنتقل بعد ذلك الى سائر الاصطلاحات ، وقد اختطت لنفسها خطة عمل تسيير بموجبها في هذا الباب ، وقررت ان تنظم « نشية » Fiche خاصة لكل كلمة على حدة يدرج فيها : (ا) : منشأ الكلمة واشتقاقها ، (ب) : مسا يقابلها في اللغات الاوربية الحية ، (ج) : ما استعمل من الكلمات العربية مقابلها في الكتب المطبوعة في مصر وسورية وتركيا ، (د) : ما كان يستعمل مقابلها او في معان مقاربة لها في الكتب العربية القديمة ، (هـ) : ما يوجد في القواميس من الكلمات الملائمة لمعناها .

فختار اللجنة اوفق الكلمات ، بعد ملاحظة جميع المعلومات ، ثم تعرضها على كبار المشتغلين في

(1) تحققت نبوة الكاتب في هذه الفقرة بتأسيس مكتب تنسيق التعريب للعمل على توحيد المصطلح العربى الذي تضعه الجامع العربية والجامعات وغيرها من المؤسسات والانفراد : كما تحققت الفقرة السابقة بالمؤتمرات اللغوية التي تعقدها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم . واما بصدد الفقرة (ب) فخير مجال البحث والمناقشة هو مجلات الجامعات والجامعات : وهذه «اللسان العربى» . (2) اللسان العربى : يتصد بغداد ، التي كان مديرا عاما للمعارف نيباً عندئذ .

« 5 - يرجع الشائع المشهور من المولد والدخيل على الوحشى المهجور من الكلمات التى فى المعاجم .

« 6 - لا يشترط فى المرب رده الى وزن من اوزان الكلمات العربية ، لكن يستحسن ذلك ان امكن ، كما يستحسن تغييره بما يجعله قريبا من اللهجة العربية » .

ولقد قبلنا هذه القواعد من حيث الاساس ، واخذنا نسج عليها فى اختيار الاصطلاحات التى نضطر الى استعمالها .

مع هذا ، رأينا من الضروري ان نضيف اليها القواعد والمبادئ الآتية :

1 - ان بعض المصطلحات تبقى بطبيعتها محدودة الاستعمال ، فلا يستعملها عادة الا طبقة خاصة من الاختصاصيين . اما بعض المصطلحات الأخرى فتكون مرشحة للانتشار ، وذلك لأنها تستعمل حتما من قبل جميع أفراد الطبقة المنورة ، وقد تدخل فى لفة الشعر والأدب ، وتنتشر بين جميع الناس .

فيجب علينا ان نلاحظ هذه النقطة الجوهرية ، عندما نحاول الترجيح بين الإشتقاق والتعريب . ففى القسم الأول من المصطلحات يمكننا ان نستعمل الكلمات الأجنبية ، كما انه يجوز لنا ان نبقىها على هيأتها الأصلية . اما القسم الثانى فمن الواجب ان نختار الكلمات العربية ما استطعنا الى ذلك سبيلا . واما اذا اضطررنا الى استعمال كلمة أجنبية فيجب ان نعربها تعريبا تاما وذلك بان نفرغها فى قالب عربى يسهل به لفظها على الناطقين بالضاد .

ولا حاجة بنا الى البيان بان الاصطلاحات المأثدة الى البكتريولوجى - مثلا - تعتبر من القسم الأول ، او الاصطلاحات المأثدة لعلم النفس فهى من القسم الثانى .

2 - ان من المصطلحات ما يكون جامدا من حيث المعنى فلا يحتاج الى مشتقات ، فى حين ان منها

ما يكون متصرفا من حيث المعنى فيحتاج الى عدد قليل او كبير من المشتقات .

فيجب علينا ان نلاحظ هذه النقطة ايضا ، فلا نختار مقابل المصطلحات التى هى من الصنف الثانى الا ما يقبل التصريف . فمندا نبحت عن اصطلاح من الاصطلاحات يجب ان نلاحظ مشتقاته المستعملة فى اللغات الأجنبية لكيما نضع ما يقابلها جيما صفة واحدة .

مثال ذلك اننا عندما نفكر فى الكلمة التى سنصطلح عليها مقابل Objectif يجب ان نلاحظ فى الوقت نفسه . ان علينا ان نشق منها ما يقابل كلمات :

(1) Objectivité, Objectivisme objectivation

وعندما نحاول ان نوجد كلمة مقابله Ideal يجب ان نفكر فى الوقت نفسه فى مشتقاتها الضرورية مثل : Idéalisme, idéaliste

لذلك لا نعتقد بكفاية تعبير « المثل الأعلى » الذى صار يستعمل فى هذا المعنى ، لان التعبير عاجز عن توليد مشتقات تقابل كل المعاني (2) .

3 - ان بعض المصطلحات ذات علاقة شديدة بمصطلحات أخرى لدالاتها على معان متقاربة أو متعاكسة . فيجب علينا ان نلاحظ جميع هذه المصطلحات مرة واحدة لئى نحصل على تناسب بينها من جهة ولكى لا تفصى كلمة مقابل الهدى المصطلحات ، فى حين انها قد تكون البقى والزم للدلالة على غيرها من جهة أخرى .

مثال ذلك اننا عندما نبحت عن اصطلاح يقابل كلمة Automatique التى تدل على نوع من انواع الحركات والانفعال ، يجب علينا ان نلاحظ بقية الانواع ، ونفكر فيما يقابل كلا من كلمات: Involontaire, spontané, Réflexe, instinctif,

فقد رأينا بعضى الكتابترجهاوا كلمة reflex بكلمة « لا ارادية » لانهم لم يلاحظوا ان مدلول هذه الكلمة ما هو الا نوع من انواع الافعال الـ « لا

(1) صاروا يقولون الان : الشىء والشينىة والتشيو والتشياء - «اللسان العربى»
(2) صار يقال : المثالى والمثالية . ، مقابل المصطلحين المذكورين اكتفاء بالمثل ، مع حذف «الأعلى» باعتباره معلوما - «اللسان العربى» .

أرادية) « وان هناك كلمة involontaire التي تطابق اللاإرادي كل المطابقة (1) » .

4 - لم يتيسر للغة من لغات العالم ان تصل الى درجة الكمال المطلق من وجهة المصطلحات في جميع العلوم . لان غاية الكمال في اللغة هي ان يخصص لكل معنى كلمة معينة او تعبير معين ، وان لا يلتبس و الذهن معنيين من كلمة واحدة ، في حين انه لا يزال في كل اللغات كثير من الكلمات تدل على معان مختلفة ، حتى على معان متباينة . فاذا كانت المصطلحات قد وصلت الى درجة الكمال في بعض العلوم - مثل الطبيعيات والرياضيات - فانها بعيدة عن هذه الدرجة في العلوم الأخرى - مثل النفسيات والاجتماعيات .

فعندما نحاول وضع اصطلاح مقابل لكلمة واحدة ، لا ينبغي لنا ان نوجد كلمة تدل على جميع المعاني المشهورة من الكلمة الاصلية على اختلاف أنواعها ، بل بعكس ذلك يجب علينا ان نوجد اصطلاحا خاصا مقابل كل معنى من تلك المعاني المختلفة على حدة .

مثل ذلك ان كلمة Sujet في الفرنسية تدل على سبعة معان مختلفة - (راجع قاموس الفلسفة الذي نشر تحت رعاية جمعية الفلسفة الفرنسية) - يقابلها في الالمانية ست كلمات وفي الانكليزية كلمتان . واذا حاولنا نحن ان نوجد كلمة واحدة مقابل جميع هذه المعاني المختلفة نكون قد كلنا انفسنا مشقة عظيمة بدون جدوى ، وذلك في سبيل تقليد احدى اللغات بجميع نواقصها تقليداً عسرياً .

ان مقارنة الاصطلاحات التي تستعملها الأمم المختلفة ندلنا على ما يجب عمله في مثل هذه الاحوال دلالة ثمينة ، فلذلك يجب علينا ان نلاحظ الاصطلاحات المستعملة في الفرنسية والالمانية والانكليزية ، قبل ان نقرر الاصطلاحات الملائمة للفرنسية .

5 - ان الاصطلاحات من الامور الوضعية الاعتقادية . فالكلمات المصطلح عليها في المعانسي العلمية ، لا تدل على تلك المعاني - من حيث اللغة - دلالة تامة ، الا في بعض الاحوال الاستثنائية . فلذلك

ليس من الضروري ان نترجم الكلمة المصطلح عليها ترجمة حرفية ، بل من الافوق ان نتحرى الكلمة التي يمكنها ان تدل على المعنى المطلوب على احسن الصور واوضحها .

ولما كان يتعسر علينا - في معظم الاحوال - ان نوجد كلمة عربية تدل على المعنى المطلوب دلالة تامة تحتم علينا ان نبحث عن اقرب الكلمات من المعنى المطلوب وان نخصصها به ، وان كان معناها اللغوي الاصلى اعم او اخص من هذا المعنى .

هذا ولا حاجة الى البيان ان الكلمات لا يمكن ان تخصص بمعان جديدة ، اذا كانت كثيرة الاستعمال في معانيها القديمة ، فيجب ان نختار الكلمات التي نود تخصيصها بمعان جديدة علمية ، من التي لا تستعمل كثيرا او ان نضعها بصيغة لم تدرج عليها الا قليلا .

مثال ذلك ان كلمة Behaviour الانكليزية تستعمل في شام النفس بمعنى اصطلاحى لا ينطبق على معناها اللغوي كل الانطباق . فلا يجوز لنا ان نترجم هذا الاصطلاح بكلمة «سلوك» لان هذه الكلمة لا تدل على المعنى المقصود من جهة ولا يمكن ان تخصص بهذا المعنى لكثرة استعمالها في معنى آخر من جهة اخرى . فمن الافوق ان نختار كلمة اقل شيوعا من كلمة السلوك فنقول مثلا « انتهاج» ولا حاجة الى الايضاح بانها لا يتعسر تخصيص هذه الكلمة بالمعنى المطلوب لعدم استعمالها - في هياتها هذه - استعمالا دارجا .

6 - ان «قصر اللفظ وسهولته» من اهم الاوصاف التي يجب ان تتصف بها المصطلحات ، لا سيما اذا كانت مما سيتداول على اللسان تداولاً كبيراً . فاذا نظرنا الى المصطلحات الفرنسية راينا معظمها قصيرة وسهلة التلفظ - كما اننا نرى بعضها آخذة في التطور نحو صيغ اقصر من ذي قبل . فقد صار الناس يقولون «سينما» مقام «سينماتوغراف» و «راديو» مقام «راديوغون» ، و«مترو» عوضاً عن «متروبوليتان» . كما ان علماء الفلك صاروا يقولون parsec عوضاً عن تعبير Parallaxe-seconde أي «اختلاف المنظر - ثانية واحدة» .

فلا يجوز والحالة هذه ان نعتمد كثيراً على

11) مقابل reflexe صاروا يستعملون الانعكاس - « اللسان العربي » .

التركيب الإضافية الطويلة التي تتألف عادة من اسمين وحرف تعريف ، بل يتحتم علينا أن نهتم بامر « القصر والسهولة » اهتماما كبيرا ، وأن نقدم على النحت والاختزال بمقياس واسع .

ونحن نعتقد أن «التوسع في النحت» أصبح من أهم حاجات اللغة العربية ، ونظن أيضا أنه لا سبيل بدون شك إلى اغنائها بما نحتاج إليه من الاصطلاحات العلمية المتنوعة الجديدة .

إننا لا نقصد من «النحت» تركيب الكلمات العربية من بعض الجنور الاعجية - كما يقترحه بعض الكتاب - بل نقصد «النحت الاصولي» الذي أدخل في اللغة العربية عددا غير قليل من الكلمات والتعبيرات المختلة مثل شقحطب ، وبسملسة ، وولاشاة ، وجرمة ... تلك الكلمات والتعبيرات المختصرة التي تفنقر العلوم الحديثة إلى أمثالها انتقارا شديدا .

(ب) - النحت

إن الوسائل التي يمكن الاستفادة منها لتكوين كلمات جديدة - بقصد الدلالة على معان جديدة - تتلخص في ثلاث طرق أصلية : الاستقاق ، التعريف ، النحت .

لا ريب في أن «الاستقاق» هو أهم الوسائل

الثلاث ، لأنه «الأمثلة» الأصلية التي كونت اللغة العربية ، فستبقى هذه الأمثلة بطبيعة الحال أهم الأفاعيل التي ستعمل على توسيعها . زد على ذلك أن عملية الاستقاق تشمل الوسيطتين الآخرين ، إذ أنها تتناول نتاج «التعريب والنحت» أيضا ، وتولد كلمات جديدة ، حتى من الكلمات «المعربة والمنحوتة» .

ومع هذا لا شك في أن الاستقاق وحده لا يكفي لتوليد الكلمات التي يحتاج إليها التفكير البشري ، لأن عمله مقصور على أوزان وقوالب معينة ، وهذه الأوزان والقوالب مهما كانت كثيرة وولودة لا تستطيع أن تستوعب جميع المعاني العقلية . فلا بد من الاستعانة بالتركيب ، والإقدام على تركيب كلمتين أو أكثر على شكل تراكيب مزجية ووصفية وإضافية ، وحتى على هيئة جمل فعلية .

فالنحت يتناول البعض من هذه التراكيب - التي تتردد كثيرا على اللسان - فيلصق أركانها ويجعلها

كلمة واحدة ، تنصرف مثل الكلمات المفردة ، ثم يختصرها ويختزلها ، ويجعلها شبيهة بالمفردات .

إن علماء اللغة يعتقدون أن «النحت» قد أدى عملا مهما في تكوين اللغة ، فإنه أوجد معظم الأعمال الرباعية والخماسية إن لم نقل كلها ، كما أنه أوجد عددا غير قليل من الحروف في أبان تكون اللغة العربية ، وولد بعض المصطلحات المهمة في دور النهضة الفكرية الأولى . ونحن نعتقد بأننا وصلنا إلى دور اشتدت فيه حاجتنا إلى الاستفادة من النحت اشتدادا كبيرا ، ونظن أن هذه الأمثلة اللغوية ستعود إلى النشاط وتوجد علينا بعدد كبير من المصطلحات التي نحتاج إليها في نهضتنا الفكرية الجديدة .

وبناء على ما ذكر سنشرع في إيراد أهم ما كتبه علماء اللغة عن النحت ، وأهم الكلمات التي تولدت من النحت ، ثم نلحق بذلك بعض الاقتراحات حول كيفية الاستفادة من النحت في وضع الاصطلاحات العلمية الحديثة .

1 - النحت في الكتب القديمة

جاء في كتاب «الصاحبي» - في فقه اللغة وسنن العرب في كلامهم - تصنيف أحمد بن فارس (من أئمة اللغة في القرن الرابع الهجري) ما يأتي :

«العرب تحت من كلمتين كلمة واحدة ، وهو جنس من الاختصار ، وذلك كقولهم «رجل عشمي» منسوب إلى اسمين : وأنشد «المخليل» : أقول لها ودمع العين جار ألم تحزنك حيلة المنادى؟

من قوله «حى على» . وهذا مذهبنا في أن الأشياء الزائدة على ثلاثة أحرف أكثرها منحوت مثل قول العرب للرجل الشديد «ضبطر» من ضبط وضبر ، وفي قولهم «صهصلق» أنه من سهل وصلق ، وفي «الصلدم» من الصلد والصلد - وقد ذكرنا ذلك في كتاب «مقاييس اللغة» - (الصاحبي من 227)

وجاء في الكتاب نفسه بعض «تعليقات نحتية» عن بعض الحروف ، مثال ذلك :

«كان - كلمة تشبيه : قال قوم هي «أن» دخلت عليها كاف التشبيه فخفت» . (ص 132) .

«لكن - قال قوم هي كلمة استدراك تتضمن ثلاثة معان : منها «لا» وهي نفى ، والكاف بعدها

مخاطبة ، والتون بعد الكاف بمنزلة «ان» الخفيفة
او النقلة . الا ان الهزة حذفت منها استقلا ،
لاجتماع ثلاثة معان في كلمة واحدة » (ص 141)

« ايان — بمعنى متى ، اي حين . قال بمض
العلماء : نرى اصلها « اي اوان » فحذفت وجعلت
الكلمتان واحدة . (ص 11)

وقد ايد « النعالبي » هذا التعليل في كتابه
« فقه اللغة وسر العربية » وازاد الى كلام ابن
فارس ما ياتي :

« كقولهم ايش ، واصله اي شيء . فقه اللغة
ص 535

وقد ذكر ياقوت في معجم الادباء في ترجمة الظهر
النعماني اللغوي ، ان عثمان بن عيسى النحوي
البلنطي شيخ الديار المصرية ساله يوما عما وقع في
كلام العرب المنحوت ، ومعناه ان الكلمة منحوتة من
كلمتين كما ينحت التجار خشبتين ويجعلهما واحدة ،
فشقحطب منحوت من شق حطب . فساله البلنطي
ان يثبت له ما وقع من هذا المثال ليعول في معرفتها
عليه ، فاهلها عليه في نحو عشرين ورقة من حفظه ،
وسماها كتاب تنبيه البارعين على المنحوت من كلام
العرب » .

وقد ايد جلال الدين السيوطي هذه الآراء في
كتابه « المزهر » وذكر نحو من ثلاثين كلمة من
المنحوتات (ص 285 — 288) .

2 — النحت في الكتب الحديثة

1 — خصص « جرجي زيدان » في كتابه
« الفلسفة اللغوية والالفاظ العربية » بحثا مستفيضا
للنحت ، وقال في مستهله :

« النحت ناموس فاعل على الالفاظ ، وغاية
ما يفعله فيها اتبا هو الاختصار في نطقها تسهила لفظها
واقترادا في الوقت بقدر الامكان . وهذا الناموس
لم تنج من فنتكه لغة من لغات البشر ايناها واسماها ،
بل قد جرى فيها على السواء من اول نشاتها ، ولم
يزل حتى الآن ، ولن يزال الى ما شاء الله » (ص 29)

ثم انتقل الى شرح عمل النحت في اللغة العامية ،
وتحرى منشا بعض المنحوتات الدارجة ، مثل
« ايشلون ، شونو ، هسع ، كمان ، قديش » .
وقال بعد ذلك :

« فتأمل كيف يفعل النحت على الالفاظ ،
فيمسحها مسحا . . . ولا انظرك ترتب بانه كان
يفعل مثل هذا الفعل على اللفة قبل ان يوشر فيجمعها
بزمان . وعليه فلا تعجب اذا ذهبنا الى ان الالفاظ
الدالة على معنى في غيرها اتما هي بقايا الفاظ ذات
معان في نفسها ، ولو تعسر علينا استقراء جميعها »
(ص 31) .

وبعد هذه الكلمات باخذ المؤلف في شرح كيفية
تولد بعض الحروف والادوات فيقول في الاخر « وهكذا
فيما بقي من الادوات فان معظمها قابل الرد بالاستقراء
الى اصله ، بشرط اعتبار النحت وقابلية الالفاظ
للتغيير والتنوع دلالة ولفظا » (ص 41) .

اما فيما يتعلق بالامعمال فانه لا يكتفى بقبول
النظرية القائلة بارجاع الرباعيات والخماسيات
الى الثلاثيات بل هو يقول بإمكان ارجاع الثلاثيات
الى الثنائيات ايضا : فهو يظن ان كلمة « قطفه » من
« قط » و « لفته » ، وكلمة « قمش » منحوتة من
« قم » و « قش » ، وكلمة « البعج » منحوتة من
« بع » و « بيج » . ويقول اخيرا « مثل ذلك في الالفاظ
الثلاثية . وان استبعد بعضهم هذا التعليل فلا
يستبعد من له شيء من الاطلاع على خصائص
الالفاظ وقابليتها للابدال والنحت . زد على ذلك ان
من يسلم حدوثه في الرباعي — بنحت كلمة واحدة من
اربع او خمس كلمات ، كقولهم بسمل « قال بسم
الله » . وسبجل قال « سبحان الله » ، وهال قال
« لا اله الا الله » ، وحيفل قال « حى على الصلاة
حى على الفلاح » وطلق قال « اطال الله بقاتك »
وجعلف قال « جعلت فداك » ودمعز قال « ادم الله
عزك » — لا يستبعد حدوثها في الثلاثي من كلمتين .
ولنا فيما تقدم عن لغة عامتنا دليل » (ص 58) .

2 — نقل محمود شكري الالوسي في كتابه
« بلوغ الارب في معرفة احوال العرب » ما قاله ابن
فارس عن النحت ، وازاد الى ذلك الملاحظات
التالية :

« مما يدل على ان اللفة العربية احسن
اللغات صيغة واساليب ، واتبها واكملها نسقا
وتاليفا ، مع تسويغ استعمال النحت عند اقتضاء
الضرورة . ولو ان العرب الاولين شاهدوا البواخر
وسكك الحديد واصلك التلغراف والفاز ونحو ذلك
مما اخترعه الافرنج لوضعوا لذلك اسما خاصا

ناصحة ، فهم على هذا غير ملومين ، وإنما اللوم علينا
حالة كوننا قد ورثنا لغتهم وشاهدنا هذه الأمور
بأعيننا ولم تنتبه لوضع أسماء على النسق الذي ألفه
العرب وهو الاختصار والابجاز» (الجزء الأول ص 46
— الطبعة الثانية) .

3 — وقد خصص الشيخ عبد القادر المغربي بحثا
وأفيا للنحت في كتابه « الاستنقاق والتعريب » . وما
قال : « النحت ضرب من ضروب الاستنقاق ومعناه
في أصل اللغة البري : يقال نحت الخشب والعمود
إذا براه وهذب سطحه ، ومثله في الحجارة . والنحت
في الاصطلاح أن تعمد إلى كلمتين أو جملة فتزوع
من مجموع حروف كلماتها كلمة فذة تدل عليه الجملة
نفسها . ولما كان هذا النوع يشبه النحت من الخشب
والحجارة سمي نحتا . وهو في الحقيقة من قبيل
الاستنقاق وليس اشتقاقا بالفعل ، لأن الاستنقاق أن
تزع كلمة من كلمة ، والنحت أن تزوع كلمة من كلمتين
أو أكثر ، وتسمى تلك الكلمة المتزوعة : « منحوتة » .
« والنحت مما يعرفه أهل اللغة أنفسهم وجروا
عليه في كلامهم ، وفي المعاجم اللغوية شواهد كثيرة
على ذلك .

« ويمكن أرجاع النحت إلى أربعة أقسام :
نحت فعلى ، ووصفى ، واسمى ، ونسبى .

« الفعلى أن تحت من الجملة فعلا يدل على
النطق بها ، أو على حدوث مضمونها ، مثل قولهم
« بابا » إذا قال « بابى أنت » والهمزة الأخيرة فسى
« بابا » منحوتة من أنت ، و « سبحل » و « حوقل »
من سبحان الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وديمز وسبعل من : أدام الله عزك ، والسلام
عليكم .

و « فذك » الممد ، أي قال فذك العدد قد
يبلغ كذا ، و « لأشاه » من صيره لا شيء . ومنه قوله
تعالى « وإذا القبور بعثرت » فإن « بعثرت » منحوتة من
« بعث وأبث » أي بعث ما فيها وأبث ترايبها .

« والنحت الوصفى أن تحت من كلمتين كلمة
واحدة تدل على وصف بمعناها أو بإشدها ،
نحو « ضبطر » للرجل الشديد ، منحوتة من « ضبط
وضبر » وفي ضبطر معنى الشدة والصلابة : جمل
مضبور : مكتنز ، اللحم ، ورجل ذو ضيابة : مجتمع
الخلق موثقه . ونحو « صلدم » : الشديد الحافر ،

منحوت من « الصلد والصلدم » ومثل « صهصاق » :
التشديد من الأصوات ، من سهل وصلق ، وكلاهما
بمعنى صوت .

« والنحت الاسمى أن تحت من كلمتين اسما
مثل « جلمود » من « جلد وجهد » . وقد يتأتى في هذا
النوع أن تكون حروف المنحوت عين حروف المنحوت
منه ، ويكون أثر النحت في الصيغة والهيئة لا في المادة ،
مثل « شقحطب » علو وزن سقرجل ، وهو اسم
الكبش الذي له قرنان كل منهما يحكى « شق حطب » ،
أو مثل « حبقر » اسم للبرد بفتح الراء ، أصله « حب
قر » كما يقولون حب الفمام على هيئة التركيب
الإضافي . والقر بضم القاف يعني البرد بسكون الراء .
ويقال هذا الشيء أبرد من حبقر ، يعنون من البرد ،
بفتح الراء .

« والنحت النسبى أن تشب شيئا أو شخصا
إلى بلدتي « طبرستان وخوازم » مثلا فتحت من
اسميهما اسما واحدا على صيغة الاسم المنسوب
فتقول « طبرخزي » أي منسوب إلى المدينتين كليهما .
ويقولون في المنسوب إلى الشاقمي وأبي حنيفة
« شفمئتي » وإلى « أبى حنيفة والمعتزلة » :
حنفئتي .

« ولا أتحمّل مسؤولية حسن مثل هذه الكلمات
وصحة استعمالها واعتبارها من الفصح وإنما أردت
أن استدل بالجملة على أن قوة الاستنقاق في لغتنا
العربية قوة عظمى تساعد على اتساع نطاق اللغة
وتكاثر نتاجها . والمرأة الفاتق الولود قلما يخلو أن
يكون في أولادها السمج البفيض ، فلا عجب إذا وجد
مثل حنفئتي وشفمئتي ذراري اللغة العربية
الكريمة .

« وقد أعملت الفكرة مرة في كثير من الكلمات
الرباعية والخماسية فوجدت أنه يمكن أرجاع معظمها
إلى كلمتين ثلاثيتين ببساطة . وبهذه تكون
تلك الكلمات في لغة العرب إنما كان بواسطة طريقة
النحت المذكورة ، أو مما نسميه الاستنقاق النحتي .
فمثل « نجرج » منحوت من « نجر فدرج » ومثل
« هرول » من « هرب وولى » و « خرمش » الكتاب :
أفسده ، من « خرم وشوه » أو من « خرم وشرم » ،
ومثل « دغثره » إذا صرعه من « دعه فغثره » ، و
« بخرت » الدجاجة من « بخرت وأثارت » التراب

المنحوتة الا حرفان من كل منهما ، كما في تعبششم وهروول .

هـ — يحدث اختزال في الكلمتين ، ولكن هذا الاختزال لا يكون متساويا في كليهما ، كما في : سبجل وبيا .

ز — تحذف بعض الكلمات حذفاً تاماً فلا تترك في المنحوتات اثراً كما في : طلبقة وهيلة ، فان كلمة «الله» في الاولى وكلمة «لا ، والا» في الثانية قد حذفت بناتا ، ولم يبق لها اثر في المنحوتات المذكورة .

4 — النحت والاصطلاحات العلمية

قد راينا فيما سبق ان علماء اللغة المتأخرين بحثوا عن «النحت» باهتمام ، وقدروا اثره ومكانته في تكون اللغة ، واعتبروه من وسائل التوسع والتوسيع فيها . وقد سوغوا الاستفادة منه لتكون المصطلحات العلمية عند الضرورة ، حتى انهم اقترحوا ذلك احيانا بصراحة . ومع هذا قلنا راينا اقداما على الاستفادة من النحت بصورة فعلية .

ونحن نعتقد ان الضرورة ماسة لذلك . اننا نعتبر عن كثير من المعاني العلمية بتراكيب متنوعة . فاذا كانت هذه التراكيب قصيرة وسهلة ، يمكننا ان نستمر في استعمالها على حالها ، اما اذا كانت طويلة وصعبة فمن مصلحة العلم واللغة ان ننحتها لاجل تسهيل استعمالها وانتشارها .

من المعلوم ان «لا» النافية اعطتنا كثيرا من الاصطلاحات العلمية الرشيقة : فقد استعمل المتقدمون اصطلاحات عديدة من هذا القبيل فقالوا : لا متناهي ، لا ضروري ، لا دائم ، لا موصوفية ، لا ادرية ... وقد استفاد المعاصرون ايضا من هذه الصيغة ، فصرنا كلنا نقول الآن : المخبرة اللاسلكية ، مبيدا اللامركزية ، الحكومة اللادينية — كما نقول : لا شعوري ، لا ارادي ، لا تم بنية ، واللافقرات .

فيمكننا ان ننسج على هذا المتوال ونقول : لا اخلاقي Amoral ، لا اجتماعي Associal ، لا جناسي Aptère ، لا حيائي Azoique ، لا تناظري Assymétrique لامائي Anhydrique ، لا هوائي Anaérobie

ولدينا بعض ادوات قصيرة اخرى — عسدا لا

النافية — يمكننا ان نستفيد منها ايضا بسهولة لتكوين بعض المصطلحات المماثلة لما نكرناه ، فلفظة «غب» مثلا تدل على حدوث شيء «بعد» شيء آخر ، فمن الممكن ان نستعملها مقابل Post الأفرنجية ، كان نقول مثلا : غبمدرسي Sostscolaire . ونحن نرى هذه الكلمة ضرورية الاستعمال لان «الغبمدرسي» اصبح من اهم مشاغل الحكومة ، بعد تعميم التعليم الالزامي ، وقد قامت معظم الحكومات بتشكيلات واسعة النطاق من اجل هذا النوع من التعليم حتى انها سنت قوانين خاصة تجعله الزاميا ضمن بعض حدود معينة لجميع افراد الامة ، فاصبح هذا المعنى في حاجة شديدة الى «كلمة» تدل عليه .

كذلك يمكننا ان نقول «غبجليدي Postuglaciaire (تكونت غبجليدية) ، و «غبيلوغ» Postpubère (عوارض غبيلوغية) ، وهلم جرا .

وقد اعتاد المعلمون والمؤلفون ان يقولوا مقابل تعبير Force centrifuge الأفرنجي : «القوة الطاردة عن المركز» او «القوة الدافعة عن المركز» او «القوة عن المركزية» . ومن السهل اختصار هذه التعبيرات والاكتفاء بكلمة «عنمركزي» او «عمركزي» ، حيث يمكننا ان نقول : «القوة العمركزية» .

وهناك كثير من المعاني اعدتنا ان نعبر عنها بتراكيب يحتوي على كلمة (قبل) مع حرف التعريف مثل «قبل التاريخ» و «قبل الطوفان» فلماذا لا نخترل مثل هذه التعبيرات بنحت كلمة «قبل» على شكل «قب» ، وبحذف حرف التعريف ؟ يمكننا ان نقول عند ذلك «قبتاريخ» Préhistoire وان ندخل هذه الكلمة المنحوتة في التراكيب حسب سياق الكلام : «الانسان القبتاريخي ، آلة قبتاريخية ، رسم قبتاريخي ، الآثار القبتاريخية ...»

واذا سرنا على هذا المتوال امكنا ان نقول : قبينطقي prélogique ، قبيلوغى prépubère ، قبفحى précamrien ، قبترهر Preflorason ، قبتورق Prefoliasion وهلم جرا . ولا شك في ان هذه الكلمات المنحوتة تمكنا من التعبير عن المعاني العلمية بسهولة كبيرة : «ان عقلية الاطفال مثل عقلية الاقوام الابتدائية ، عقلية قبينطقية» .

(ومن خصائص الفصيلة الفلانية: قبترهر حلزوني، قبتورق متوال ...)

وكذلك عندما كنت اتحدث الى تلاميذي عن «الفتن
في المنام» somnambulisme وعن «السايرين
في المنام» وعن الحادثات النفسية «التي تظهر في حالة
السير في المنام» وجدت نفسي ولساني في حاجة شديدة
الى كلمة قصيرة وملت الى التحدث ميلا شديدا . فما
المانع ان نقول في هذا المقام (سرمنة) (من سير ومنام) ؟
لا ريب في اننا اذا قبلنا هذا النحت يسهل علينا
الاسترسال في الشرح : «التنويم hypnotisme
ما هو الا سرمنة مستولدة» ، «التموم يشبهه
المسمرن» .. «لا يذكر الانسان في حالة اليقظة
ما فعله في حالة السرمنة» .

وقد اخذ علماء النفس يعنون في تدقيق احلام
اليقظة Daydream وصاروا ينطقون اليها في
امور التربية . افلا يجوز لنا ان نقول مقابل ذلك
(حلقظة) (من : حلم و يقظة) ؟

اننى اعرف ان مثل هذه الكلمات المنحوتة تظهر
في بادئ الامر غريبة على الاسماع لكنني لا اجد فيها ما
يزيدها غرابية على الكلمات المنحوتة القديمة التى
تكرتها آنفا ، تلك الكلمات التى دخلت القواميس
وشاعت بين الناس .

هذا ولا اظن ان حاجتنا الى مثل هذه الكلمات
تقل عن حاجة اجداننا الى امثال « البسمة والحوقلة
والمشلوز والشقحطب» . فلماذا لا نجوز لانفسنا في
هذا الدور الذي يمتاز بالتفكير الشديد ، والتظر المعقل ،
والعلم العميق .. ما جوزه اجداننا لانفسهم ، في خلال
ابحاثهم العلمية السطحية ، وتفكيراتهم النظرية
البسيطة .

قد يقال : ليس للنحت قواعد واصول ثابتة واوزان
معينة ، وان الاسترسال في النحت يخل بتناسق اللفه ،
ويفتح بابا للفوضى .

لكننا لا نجد مسوغا للتخوف من هذه الناحية :
اننا نقترح استعمال النحت لاجل الاصطلاحات العلمية ،
وهذه الاصطلاحات محدودة بطبيعة الحال ، فلا يصعب
مراعاة التناسق في تكوينها .

وكذلك يمكننا ان ننحت كلمات « خارج ، وفوق »
وتحت « على شكل « خا ، فو « تح » ونقول (خامدرسى))
Extrascolaire ، و (هوسوي) Surnormal
و « تحشعوري » Subconcient .. وهلم جرا .

وقد سبق ان استعمل بعض المترجمين في الكتب
والمقالات العلمية ، الكلمات المنحوتة الآتية :
«البرماتية (1) Amphibia (من البرماء .
« الحيب » و «الحيوانات» (2) zoophyte
(من الحيوان والنبات) .

« الحيزم » (3) Espace-temps (من
انحيز والزمن) .
« الحيمن » او «الحويمين » spermatozoaire
(من الحوين والمنوي) .

وقد اعتاد اهل العراق ان يسموا نوعا من
القواضم بقولهم «ارجذا» (من الارنب والجرذ) لمشابهته
الارنب من جهة والجرذ من جهة اخرى .

ونحن نرى من المصلحة ، بل من الضروري ،
ان نتقدم ونتوسع في هذا السبيل ، فاذا سرنا على
نفس المتوال ، يمكننا ان نقول (حينومة) Sperozaire
(من حيوان وجرثومة) ، و «عفنات» saphophite
(من عفن ونبات) ، و «حيشنة وحيشنات»
Bryozoaire (من حيوان واثنة) ، و«الحيسجة
وحيسجات» histozoaire (من حيوان ونسج)
و «عظنية وعظنيات» ostéophyte (من عظم
ونبات) .. وهلم جرا .

ولقد كنت افكر قبل بضعة ايام في كلمة تقابل
pedocentrique لاستعمالها في دروسى فخطر
ببالى استعمال كلمة (ظفركي) (من : طفل - مركزي)
على وزن (ظبرخزي) . واعتقد ان النحت على هذا
المتوال يخلصنا من مشاكل كبيرة ويغنى لغتنا بكلمات
واصطلاحات قيمة .

فمن هذا القبيل يمكننا ان نقول مثلا (بشركرية)
من (بشر - مركزي) ، anthropocentrisme
و «انركرية» égocentrisme من (انا - مركزي) .

(1) أنيس الخوري المقدسى .

(2) عز الدين علم الدين

(3) عبد المسيح وزير

وتزيد على ذلك فنقول : لا يمكن نشر المصطلح بالتركيب المطولة ، فإذا لم نقبل تحت فسنضطر الى استعمال الاصطلاحات الأفرنجية نفسها ، ولا حاجة للابتن ان اتساق اللفظ في هذه الحالة يصبح ائسد تعرضا للخطر .

اننا لا نلح في ترويح كل الاصطلاحات التي سرناها ، ولا نستبعد امكان ايجاد ما يكون اكثر موافقة منها . ولكننا نلح في وجوب قبول المبدأ ، وفي ضرورة الاقدام على النحت لاجل بعض الاصطلاحات العلمية .

ولذلك ندعو جميع الكتاب والمفكرين من الناطقين بالضاد الى التامل في هذه المسألة المهمة ، برحابة ذهن واهتمام تام .

(ج) — مناقشات حول بعض الاصطلاحات

— 1 —

ان دراساتي الاولى في مقدمة ابن خلدون — عندما نشرت سنة 1944 — اثارت كثيرا من الانتقادات والتعليقات في الصحف والمجلات . ولكن معظم تلك الانتقادات والتعليقات كان يحوم حول الكلمات والاصطلاحات .

واستغربت عندئذ اهتمام الكثيرين من المعلقين بالاصطلاحات التي استعملتها في تلك الدراسات ، اكثر من اهتمامهم بالآراء التي ابديتها فيها بالمسائل التي اثرتها خلالها .

وعندما اظهرت استفرابي هذا الى صديق اجتمعت به على مائدة الغداء خلال حديث عن الدراسات قاطعني بقوله : « ولكنك حقيقة تفالي في استعمال اصطلاحات جديدة وكلمات غير مألوفة » .

فاجبته قائلا : « انا لم استحدث اصطلاحا ما لم اشعر بضرورة ذلك للتعبير عن فكرة معينة ، وما لم اتأكد من ان تلك الفكرة لا يمكن ان تؤدي بالكلمات المألوفة ومن ان الاصطلاحات المعروفة تعجز عن التعبير عنها بما يلزم من الوضوح الفكري والتحديد العلمي . .

ولكن صديقي اراد ان يجرح قولي هذا ببثال ملموس فقال :

— مثلا ، انك قلت «سلطة متعضية» . لماذا ؟ اما كان يمكنك ان تقول «سلطة منظمة» ؟

سردت من هذه الملاحظة التي فتحت امامي مجالاً لمناقشة الامر بتوسع وتعمق ، مستندا الى مثال حي . وهذا الاصطلاح كان موضوع انتقاد خاص في بعض المجلات) .

وقلت :

— كلا . . ان كلمة « منظمة » او « منتظمة » لا يمكن ان تعبر عن المقصود في هذا المقام . لان النظام انواع : هناك « نظام ميكانيكي » ، و «نظام هندسي» ، و «نظام عضوي» .

ان المقصود من نوع السلطة المبحوث عنها في الدراسات هي «السلطة» التي يتولاها عضو معين وجهاز خاص في المجتمع . وذلك بعكس «السلطة» المنتشرة التي لا تختص بعضو وجهاز فتكون ممثلة في مجموع المجتمع ، ومشاعة بين جميع افراده . المقصود هنا ليس وجود او عدم وجود «العضوي» و «الجهاز» . فتعريف «السلطة المنظمة» او «السلطة المنتظمة» لا يدل على هذا المعنى بوجه من الوجوه . هذه هي الملاحظات التي اضطررتني الى استعمال تعبير «السلطة المتعضية» .

قد يجد غيري اصطلاحا اوفق من هذا . اما الامر الذي اتمسك به كل التمسك في هذا المقام فهو وجوب ايجاد تعبير جديد او صيغة جديدة للدلالة على هذا المعنى الخاص وعدم ترك المجال لتموج وتذبذب المعنى المنكور ، في الذهن ، من جراء عدم ارتباطه باصطلاح متميز عن الكلمات والاصطلاحات المألوفة .

ولهذا السبب ساستعمل تعبير « السلطنة المتعضية » الى ان يجد غيري اصطلاحا انسب من هذا في الدلالة على المعنى المقصود .

— 2 —

ان الايضاحات التي قدمتها آتفا على كلمة «المتعضية» تفيني عن اطالة الحديث في سائر الاصطلاحات التي صارت موضوع نقاش ، بمناسبة دراساتي عن مقدمة ابن خلدون .

فاني انكرها فيما يلي بايجاز :

(1) — عقلاني :

استعملت كلمتي « العقلاني » و «العقلانية»

مقابل كلمتي rationaliste و rationalisme ، الافرنسييتين .

لانى لم اجد كلمة «العقلي» و «العقلية» وايضا بالمرام .

من المعلوم ان المقصود هنا « الاعتماد على العقل ، وتحكيم العقل في كل شيء » . وهذا لا يمكن ان يستفاد من كلمة «العقلية» ابدا ، فكان من الضروري ايجاد صيغة جديدة ، مشتقة من العقل غير كلمة «العقلية» العامة .

فاخترت كلمة «العقلاني» قياسا على « جسماني ، روحاني ، علماني ... » التي صارت تستعمل كثيرا بمعان تختلف عن معاني كلمات « جسمي ، روحي ، علمي ... »

(ب) - قوائى :

وقد استعملت « قوائى » فقلت « الفكر القوائية » مقابل idées-force

اذ من المعلوم ان الفلاسفة لم يقصدوا بذلك «الاتكار القوية» وانما قصدوا « الانكار التي تدفع الى العمل ، مثل سائر القوى » . ويتعبير آخر : « الفكر التي تشبه القوة الدافعة » .

فقد استحدثت هذه الصيغة الخاصة ، من كلمة الـ « قوة » للدلالة على هذا المعنى الخاص .

(ج) - قبلانى ، وبعدانى :

لقد استعملت كلمة قبلانى مقابل Apriori ، و « بعدانى » مقابل aposteriori ، وذلك للتمييز بين « الاحكام التي تصدر قبل البحث والدرسي » وبين « التي لا تصدر الا بعد البحث والدرس » .

من المعلوم ان المناطقة القدماء كانوا يعبرون عن ذلك بقولهم « ما يعرف بدليل لى » و « ما يعرف بدليل لى » - لان الاول لا يقع جوابا للسؤال « لم ؟ » والثانى يبدأ بحرف « ان » .

ولا حاجة الى القول بان هذه العبيرات الطويلة لا تساعد على استقرار المعانى المطلوبة في الذهن ، كما انها لا تيسر نكرها بين العبارات وابلاغها الى القراء والسامعين .

وقد استعمل البعض في هذا المقام كلمتى «الاستدلال» و « الاستقراء » ولكن هاتين الكلمتين تقابلان و تقابلان على المعنى المقصود تمام الانطباق .

فنحن في حاجة شديدة الى كلمات قصيرة تعبر عن المعانى التي نكرتها آنفا ، ولا سيما ان هذه المعانى مما يجب انتشاره بين جميع المتفقين . يجب على كل منقذ الا يعتمد على الاحكام التي تصدر قبل البحث والدرس . واعتقد ان قولنا « يجب اجتناب الاحكام القبلاية » يعبر عن ذلك باحسن الصور واقصرها .

- 3 -

عندما القيت سلسلة محاضرات في « اصول الاحصاء » في كلية الحقوق ببغداد ، اضطرت السى استحداث طائفة من الاصطلاحات ارى ان ادونهاها فيما يلي :

(ا) - استعملت كلمة « واسط » مقابل Median

ومن المعلوم انه يختلف عن المتوسط وعن المعدل الحسابي ، لانه يدل على الحد الذي يقع في وسط السلسلة الاحصائية ، ويقسمها الى قسمين متساويين (ب) - واستعملت كلمة « ربمعل » مقابل كلمة

Quartile لانها تدل على الحدود التي تقسم السلسلة الى اربعة اقسام متساوية .

(ج) - واستعملت كلمة « عشريل » مقابل

كلمة décile لانها تدل على الحدود التي تفصل الاقسام عندما تقسم السلسلة الى عشرة اقسام متساوية .

(د) - واستعملت كلمة « مئيل » مقابل كلمة

centile لانها تدل على الحدود التي تفصل الاقسام عندما تقسم السلسلة الاحصائية الى مئة قسم متساو .

(هـ) - وقلت « تمئيل » مقابل كلمة centilage

التي تعنى حساب وتعيين المئيلات .

(د) - وقلت « استعشار » مقابل كلمة

Decilage التي تعنى حساب وتعيين العشرييات .

(ا) اضطرت الى احداث هذه الصيغة لان كلمة (تعشير) مالوفة ومستعملة بمعنى خاص آخر .

(ز) - وقلت « استرياع » مقابل كلمة

Quartilage التي تعنى حساب وتعيين الربعيات .

(ا) اضطرت الى استحداث هذه الصيغة لان كلمة « تربيع » مالوفة ومستعملة بمعنى خاص آخر .

الاسم ، ولكن كلمة الفرائز ، تستعمل مقابلاً
Instinct physique فهي أدل على هذا المعنى .
(ب) -

هذا العلم يسمى في الاقطار الشامية باسم
(الفيزياء) وفي مصر باسم «الطبيعة» .

كلمة « فيزياء » من وضع لجنة الاصطلاحات
العلمية التي نكرتها آنفا ، وهي منتشرة في جميع
المدارس والمؤلفات في سوريا والعراق ولبنان .

الا ان بعض الاقطار العربية ظلت متمسكة
بتعبير « الطبيعة » او « علم الطبيعة » - في جميع
المناهج والمؤلفات ، مع ان كلمة الطبيعة مستعملة
بمعنى عام يشمل كل ما في الطبيعة من نبات وحيوان
وجهاد .

وقد استعمل القدماء تعبير « العلم الطبيعي »
و « العلوم الطبيعية » بهذا المعنى الشامل ، فليس
من المعقول تخصيص هذه الكلمة لتسمية العلم الذي
نتكلم عنه .

(ج) - العلوم الحقوقية والعلوم القانونية :

من المعلوم ان رجال الحقوق في فرنسا يميزون
بين الـ droit وبين الـ code او الـ loi

وقد حذا حذوهم في هذا الباب رجال القانون
والحقوق في بعض الاقطار العربية وميزوا بين
« الحقوق التجارية » و « القانون التجاري » مثلا ،
لكن البعض الآخر من الاقطار العربية لم تميز بين
النوعين من الابحاث .

من الغريب ان اسماء بعض العلوم الحديثة
صارت موضوع خلاف بين البلاد الغربية ، واثارت
بعض المناقشات بين متخصصيها .

(١) - Physiology

ان العلم المعروف بهذا الاسم في البلاد الغربية
صار يسمى في البلاد العربية باسماء مختلفة :

« فسلجة ، غرائز ، فسيولوجي ، منافع
الاعضاء ، وظائف الاعضاء » .

لا شك في ان كلمة «الفسلجة» اوفق هذه
الكلمات . انها سهلة اللفظ ، وسهلة التفريع
والتركيب ، فيقال : فسلجي ، فسلجية ، فسلجيا ،
فسلجة القلب ، فسلجة النبات ، فسلجة
البصر . . . الخ .

وهي معربة من كلمة فسيولوجي ، قياسا على
تعريب كلمة « فيلوزوفى » (1) .

كانت هذه الكلمة قد استحدثتها « لجنة
الاصطلاحات العلمية » التي تالتت في دمشق عقب
الحرب العالمية الاولى ، في عهد الحكومة الاولى في
سورية ، وقد تبنتها في حينها وزارة المعارف السورية ،
ثم تبنتها وزارة المعارف العراقية فانتشرت لذلك في
الكتب والمؤلفات في جميع الاقطار الشامية . الا ان
بعض الاقطار العربية ظلت معرضة عنها .

واما تعبير « علم الفرائز » فقد استعمله احد
الاساتذة في كلية الطب بدمشق ، وسمى كتابه بهذا

(1) - «اللسان العربي» : ورد اقتراح في عدد سابق من قبل الاستاذ عبد الحق فاضل باستعمال

كلمة عربية خالصة بمعنى الفيزيولوجي وهي «الجنائيات» ، ويمكن استحداث الصيغ منها مثل :
جنائيا وجئنة ، وجئنين ، وجئانية القلب . . . الخ

وسائل تطوير اللغة العربية العلمية

الدكتور عبد الكريم خليفة

رئيس قسم اللغة العربية بالجامعة الاردنية

قوتنة :

يشاء لها اعداد العروبة والاسلام : أم تنفض عنها غبار الزمن لكي تشر الادوات الكلمة في طبيعتها اللغوية والتي تجعل منها لغة حية متطورة تستطيع أن تستوعب ما يجد من المعاني الحضارية والعلمية ، وهنا تكمن أسباب الخلود في هذه اللغة الخالدة

بدات امتنا العربية يقظتها مع بداية هذا اترن ، وصاحب هذه اليقظة نهضة لغوية تحاول مسيطرة العصر ، وتوطد دعائم نهضة الامة ووجدتها . فقامت مؤسسات تعنى باللغة العربية في دمشق وبغداد والقاهرة فكان لها شرف السبق في وضع أسس النهوض بهذه اللغة مدركة الادراك كله انه لا يمكن أن تنهض الامة الا بلغتها القومية ، وكان يقابل هذا التيار البناء تيار آخر يناصب اللغة العربية العدا ، ويثير العقبات والمصاعب في وجه تقدمها متذرعاً بشتى الوسائل من اقليمية ووطنية حيناً ، ومن غيرة زائفة على التقدم العلمى والتكنولوجى حيناً آخر . ولم يفت انصار هذا التيار أن يتخذوا من اللغويين والمنظمين ومن بعض هفوات المجامع اللغوية وأساليبها سلاحاً للتشهير والخذلان ونحن نستطيع أن نشير الى فترتين أساسيتين في نهضة اللغة العربية المعاصرة . فالفترة الاولى تتمثل في الفترة الزمنية الواقعة بين الحرب العالمية الاولى والحرب العالمية الثانية ، حيث تيسر العربية يستعيد حيويته ويشهد في المشرق .

والفترة الثانية تتمثل في الفترة الواقعة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية حتى الوقت الحاضر ، وأهم ما تميز به هذه الفترة من الناحية الايجابية تحرر الشمال الافريقى من ربة الاستعمار من الناحية السياسية وخوضه معركة التعريب التي

كانت اللغة العربية لعدة قرون خلقت لغة العلم والفكر والحضارة ، فقد نقلت اليها انواع العلوم والتفان المختلفة منذ القرن الثمانى للهجرة ، فاستطاعت ان تستوعبها وتهضمها ولم تتف عند هذا الحد ، بل تجاوزته الى مرحلة الابداع والابتكار ، فاضافت من طريق ابنائها اضافات اميلة الى العلوم بأنواعها ، وكانت حلقة مهمة في سلسلة التطور الحضارى الانسانى . ثم عدت عليها عوادي الزمن ، واصاب أمة العرب ما اصابها ، من تكاتف الاعداء في الخارج متمثلة باحروب الصليبية في المشرق ، ووجهتها بيت المقدس في فلسطين ، وفي المغرب مارة باسبانيا الاسلامية ، هذا من ناحية ومن ناحية اخرى نالت بها التمزقت الداخلية والحروب الاهلية وما صاحبها من انحلال سياسى واجتماعى .

وكانت نتيجة هذا كله ان انزوت هذه اللغة الشريفة ، لغة القرآن الكريم ولغة العلم والحضارة جانزواء أهلها ولم تستيقظ الا في عصر التفيزيون والردار والصواريخ العابرة للقارات ، حصر الطاقة الذرية وغزو الفضاء والنزول على القمر فيالها من حقيقة اشبه بالحلم . غهاى لغتنا الحبيبة تستيقظ بيقظة اقطار امتنا العزيزة لتواجه الواقع بكل ما يحمله من مهام وواجبات ، وما يشهه من صماب وعقبات .

ليت شعرى ماذا يكون موقف اللغة العربية !!! في هذا العالم المتطور وفي خضم المعارف الانسانية المتسارعة التي تضع الانسان في فجر تاريخ بشرى جديد . فهل تختار طريق الجمود والانطواء على الذات ، فتراجع الى العدم كما

تعتبر اساسا في كيانه الوطني والقومي» وكذلك جاء استقلال بقية الاقطار العربية في المشرق ، وتوطيد دعائم التحدر السياسى- والاقتصادى- والتتاقى في بعض الاقطار وما أدى اليه من انتشار الجامعات العربية وزيادة عددها بنسبة كبيرة في الوطن العربى .

اما من الناحية السلبية فان هذه الفترة تتميز بالهجمات الشرسة التى يشنها اعداء العمروية على امثا العربية مستهدفين كيانها السياسى والغوى والتتاقى بل والحياتى من حيث الاصل . فهناك الآن الاستعمار الاستيطانى اليهودى في فلسطين تدعمه قوى الشر واعداء العمروية والاسلام ، وهناك التيارات الشريرة في الداخل التى تحاول النيل من تراث هذه الامة وقيمتها ولغتها .

فاذا ما وضعنا هذه العوامل جانباً لانها ليست الهدف من هذا البحث ، فاننا نستطيع ان نميز التيارات التالية على المستوى اللغوى في العالم العربى مشرته ومغربه :

- (1) تيار العربية الفصحى المترمنة .
- (2) العربية الحديثة التى تمثّل بلفة المجالات والجرائد .
- (3) العامية الدارجة .
- (4) اللغة الاجنبية .

وبالرغم من اننى لا انوى مناقشة موضوع اللغة الادبية في هذا البحث فاننى اجد لزاما على ان اشير للحق وللتاريخ ان هؤلاء الذين ينادون باستبدال لغة اجنبية باللغة العربية قلة قليلة قد تنكرت لامتها وتراثها وقيمتها ، ولكنها مع الاسف تركز جهودها الآن على مستوى اللغة العلمية متذرة في ذلك بحجج شتى لا تثبت امام الامتحان . اما اولئك الذين ينادون بالعامية الدارجة ، فقد هائوا على امتهم وبالتالي على عامياتهم المختلفة التى لا حصر لها !!! فليت شمعى ليس لكل عامية قواعد نحوية وصرفية ؟ . وبأية عامية يريدون ان يكتبوا ويتحدثوا !!! فلكل قطر عامية وفي كل مدينة عامية !!! وهكذا ...

وكذلك تكاد العربية الفصحى المترمنة ، ان تنحصر في بعض زوايا المؤسسات اللغوية وان تطور

الحياة ومقتضيات العمر تفرض على الامة الحركة السريعة للحاق بوكب الحضارة ومسايرة التطور العلمى والمشاركة في الابداع والاختراع .

وسوف لا اتف عند اللغة الادبية ولا اخشى على وحدتها اذ ان ، النص الترانى ، كنفيل ابدئى في توحيد اللغة الادبية . اما الخطر المحقق بنا الان فاننا يمكن في تطوير اللغة العربية العلمية لكي تواكب متطلبات العمر الحديث الحضارى- والعلمية . هذا من ناحية ومن ناحية اخرى فان هذا الخطر يتجسم ايضا في صفوف المؤمنين بالتمريب والمنادين به الان ، وذلك بان تنشأ لغات علمية عدة في الوطن العربى ، فيصعب على العالم العربى وفي قطر من الاقطار ان يفهم ما يكتبه علم آخر في قطر آخر

ولا ادل على ذلك من هذا المثال الصارخ : قامت منظمة اليونسكو بوضع كتاب في الرياضيات الحديثة للعالم العربى بلغة اجنبية ، ثم ترجم هذا الكتاب ، فترجم مع الاسف الى خمس لغات علمية عربية حتى الان !! فهناك الترجمة المصرية، والترجمة العراقية، والترجمة السورية، والترجمة الكويتية ، ثم الترجمة الاردنية . وكل ترجمة تستعمل رموزا ومصطلحات تختلف عما استعملته الترجمة الاخرى ، بحجة ان اجتهادها هو الصائب بنظرها ... فان هذا الاجتهاد والغيرة على العربية لم ينع من ان يؤدى الى بذور بذور لغات علمية مختلفة ، وفي هذا تحذير لخطر نشوء لغات علمية مختلفة وما يجره من اخطار اساسية على وحدة الامة وتعاونها وتنسيق جهودها في ميادين العلم والمخترعات الحديثة .

اللغة العربية نفة متطورة حية ، والحياة تعنى النمو والازدياد . فقد حفظ القرآن الكريم هذه اللغة من الضياع والتشتت ، ولولاه لما كانت هناك لغة عربية اليوم وبالتالي لما كانت هناك امة عربية ولكان مصرها مصر اللغات القديمة التى انقرضت او تلك التى تاقلت الى لغات مختلفة كما حدث للغة اللاتينية . منشآت عنها الفرنسية والاسبانية والاطالية والرومانية ... ان النص الترانى منع تشتت اللغة واندثارها ، وانه في حفظه اياها من حيث الاساس لم يسنح تطورها ونموها ... بل على التقيض من ذلك فقد جاء القرآن الكريم بلغة قريش وهذا يعنى انه امات

ما عداها وتضى على الفوضى في العربية وأخضعها لثابتون بياني ثابت . . . وكان هذا في حد ذاته تطورا عظيما في كيان اللغة .

ولم تتوقف عملية التطور في اللغة ، بل استمرت باستمرار الحياة وتفاعلها الحضارى ، فمسين التطور عمله في مادة اللغة كما عمل في صورتها ، فان لغة الكتابة في القرن الاول الهجرى تختلف عنها في لغة القرن الرابع الهجرى ، وان اللغة الفصيحة الابدية التي نقرأها اليوم في مجلاتنا وجرائدنا المتعددة تختلف اختلافا بينا عن لغة الكتابة في عهد الإزدهار الحضارى الاسلامى ولا شك أن هذا الاختلاف مرجعه الى عملية التطور التي ما انفكت تلازم طبيعة هذه اللغة . وهذا يطرح على بساط البحث مهمة انجاز معجم تاريخى للالفاظ العربية والمعانى التي تدل عليها من خلال النصوص وعبر العصور التاريخية حتى الوقت الحاضر .

المشكلات التي تواجهها اللغة العربية :

لقد ذكرنا سابقا أن اللغة العربية قد اجتازت امتحانا صعبا وتجربة قاسية لم تواجهها من قبل نسي حياتها ، فقهرت تلك المشكلات ، واستطاعت أن تستوعب جميع المعانى المادية والتركيبية ، وبالتالي لم يستطع سلطان الاجنبى والمستعمر أن يقضى عليها . وهى الآن تتعرض للخطر العظيم يأتيها من ابنائها العاقين منهم وغير العاقين أيضا ومن هجمات الاستعمار الشرسة السياسية والاقتصادية والحضارية واللغوية . ان لغتنا تتعرض في هذا الوقت الى خطر عظيم . كما أن أمتنا العربية تتعرض الى أخطار تهدد وجودها وكيانها . ولا ادل على ذلك من الاستعمار الاستيطاني اليهودى في فلسطين والذبيات يهدد الأقطار العربية الأخرى . والاصوات النابية التي تتعالى هنا وهناك في المشرق العربى وفي مغربه . تحمل اللغة العربية وزر الهزائم وتنادى بتجاوز اللغة الفصيحة الى لغات اجنبية حية او الى لهجات عامية مبعنة في الفرقة وتطبيع أوصال الامة والقضاء على هويتها لبقائها تحت نير التبعية المطلقة .

وأسام هذا الخطر الداهم ، يجب أن نعنى بسلامة اللغة العربية والعمل على جعلها وانفة لمطالب العلوم والفنون وجميع شؤون الحياة الحاضرة ،

فبالرغم من أن اللغة وسيلة الاداء والتفاهم بين الافراد والجماعة ، فانها في مفهومها القومى غاية في حد ذاتها . فهى مجموعة من الامكار والتقاليد والمواطف والاحاسيس والنزوات وشتى المشاعر والاعتبارات ، تنتظمها الالفاظ انتظاما في وجيدة ذاتية ترتبط ارتباط الشكل بمحتواه . . . وهنا لابد أن نطرح هذا السؤال الكبير :

كيف نستطيع رد الحياة النابية الى اللغة العربية وبسط رقعة الوضع امام الواثق اليومى لكى تلحق هذه اللغة بركب الحضارة وتواكب مخترعاتها ومكتشفاتها المتزايدة في كل يوم ؟ اذ ما عسى أن يكون مستقبل امة ليست لها لغة كاملة ؟ . . . ان الامة التي ليس لها لغة تامة صحيحة لا يمكن أن يكون لها فكر تام صحيح .

لا شك ان اللغة العربية تواجه في الوقت الحاضر مشكلات مهمة لا بد من دراستها وتناولها بصورة موضوعية ومن خلال خصائص هذه اللغة وأساليبها ووسائل نموها ونحن نستطيع أن نحدد هذه المشكلات على الوجه التالى :

- 1 (مشكلة المصطلحات في اللغة العربية .
- 2 (مشكلة نحو اللغة وصرفها .
- 3 (مشكلة معجمات اللغة ومفرداتها .
- 4 (مشكلة رتم اللغة اى الإملاء

أما ما يثار حول انقطاع الصلة بين الاسلوب القديم والاسلوب الجديد ، في الكتابة الادبية فنحن نعتقد أن ذلك لا يكون مشكلة بل على التقيض انه دليل على حيوية اللغة وتطورها . فقد قامت النصحانة والمجلات الادبية بدور مهم في اخذ انتعاب المترجمة من اللغات الاجنبية الى اللغات العربية الحديثة ، وهى تعابير كثيرة لا يستطيع تمييزها الا مؤرخو اللغة .

وان الكاتب الحديث يستعملها في لغته الادبية دون أن يشعر بأية غرابية او استهجان . مثل ذلك قولهم : « ذر الرماد في العيون » و « اصطاد في الماء العكر » و « كان للحادث صدى بعيد » و « قال ذلك بصفته مسؤولا » . . . الخ .

ومهما يكن من أمر ، فقد انسابت هذه التعبير الدخيلة الى لغتنا وأصبحت جزءا منها . وان قدرة

اللغة العربية على استيعاب هذه التعبيرات وغيرها من التعبيرات المستجدة ليكون احدى ميزاتها الاصيلة في سيرتها انحية المتطورة . ونحن اذ نجد بين الفينة والفينة من يشجب مثل هذه التعبيرات في الكتابة الادبية ، فان اللغة العلمية قد بقيت لحسن الحظ بنجوة من التبع والمؤاخذه مما يفتح الباب على مصراعيه امام لغة العلوم والمعارف المستجدة .

ومن اهم المشاكل التي تواجهها اللغة العربية الفصحى في سيرتها من حيث هي لغة التعليم العام وبالتالي لغة الكتابة والحديث ايضا لجماهير المثقفين ، هي مشكلة استصواب الدراسة النحوية والدراسة الصرفية مما يبعث على النفور من اللغة . وهنا لا بد ان نفرق بين نحو اللغة باعتباره جزءا من طبيعة اللغة وجوهرها وبين اساليب دراسة هذا النحو او الصرف ونحن نعتقد انه في طبيعة اسباب هذا النفور من النحو والصرف ، يأتي الجمود في اتباع قديما النحويين في سرد القواعد من غير عرضها على كلام العرب وشعرهم الخالي من الضرورة ، والتزام اتوالمم كأنها مما يحرم الاجتهاد فيه ، فقد جهد النحو المعاصر الذي اخذت به المؤسسات التعليمية في الاقطار العربية على مدرسة البصريين دون غيرها من مدارس النحو

وهكذا اتاه الجمود وصار النحو مع الاسف غاية في ذاتها لا وسيلة للتعبير عن المعاني والاحاسيس . ولم يستطع المؤلفون في النحو من المعاصرين ان ياذوا بشيء ذي قيمة في تسهيل هذا العلم الذي هو ميزان تأليف الكلام . وما يقال عن النحو يقال ايضا عن الصرف من حيث هو تنوام تطور اللغة .

فلماذا مثلا يقتصر على اتباع المذهب البصري في كون اصل الاشتقاق من اسم المعنى لا من اسم الذات ، وهذا يعنى تقديم التجريد على التجسيد ، وفي ذلك تضاد مع طبيعة اللغة .

لها قضية معجمات اللغة العربية ومفرداتها ، فان المعاجم لم تدون جميع ما ورد في كلام العرب ، بل لم تعتبر الا اليسير . فابن المعجمات من هذا اثرات الضخم من كتب الادب ودواوين الشعر ومؤلفات العلوم باذواعها . . . فالعربية ما زالت بحاجة الى معجمات تستوعب الفصح وغير الفصح

والقديم والمولد والعربي والمغرب مما ورد في كتب العرب المسلمين الذين الفوا بالعربية . وهنا تاتي اهمية وضع معجم تاريخي يستقصى الفاظ العربية ومعانيها المتطورة من خلال النصوص وعبر العصور التاريخية حتى وقتنا الحاضر . وان مثل هذا الجهد الضخم يحتاج الى تجنيد جميع طاقات الامة العربية اللغوية بدعمها مؤسسة على هذا النطاق ذات امكانيات مالية وفنية كبيرة ان البحث في مشكلة اللغة يتودنا حتما الى التحسس بضرورة وجود انواع من المعاجم تكفل لغة العربية مواكبتها للحضارة العالمية ، وبالتالي توفر لابنائها مجال الابداع والمشاركة لانه لا يمكن الابداع الا بلغة الام ، ونفى الام هنا اللغة التومية . ومن هذه المعاجم المعجم التاريخي او التشويى والمعجم الاصطلاحى والمعجم المسادى (العام) والمعجم العلمى .

اننا بحاجة ماسة الى معجم يفي بجميع الاغراض العلمية ، تعرف فيه الالفاظ العلمية بطريقة قادرة على تصوير الشيء المعرف تصويرا صادقا ينطبق على ما يدل عليه . ان لغتنا العربية في هذا العصر ، عصر الذرة وغزو الفضاء ، شديدة الحاجة الى المصطلحات العلمية والتقنية . ولذا نشكك المصطلحات هي كبرى مشكلاتها .

مشكلة المصطلحات :

قد لا نعدو الحقيقة اذا قلنا ان احتياج امتنا العربية الى المصطلحات العربية اللغوية كاحتياجها الى جميع وسائل التقدم الحضارى بل ان حاجتها لذلك تاتي في المقام الاول لانها مرتبطة باسباب وجودها ، اذ ما عسى ان يكون مستقبل امة ليست لها لغة كاملة تستوعب موجودات الحياة ومعطياتها .

ليست هذه المشكلة خاصة باللغة العربية ، فقد عانتها الشعوب الناشئة فهذه الامة اليابانية ، قد استطاعت ان تطوع لغتها القومية وان تصل بها الى اعلى ما وصلت اليه التكنولوجيا الحديثة ، بل هاهي اللغة الصينية تنطلق بانطلاقة شعبية لكن تصل الى طبيعة الدول النووية ، دون ان نذكر اما اخرى قد جعلت من لغاتها القومية لغات تستوعب جميع المعارف والعلوم الحديثة مثل التركية والفارسية والدانماركية وغيرها .

وقد كان الامر كذلك فما يتعلق باللغة العربية قديما . اذ اجتازت في نهضتها صعوبات الترجمة واستيعاب المعاني الحضارية اذ ذاك فتم لعلماها وضع كثير من الالفاظ بطرق الاشتقاق والمجاز والتمريب الخ .

وترجوا تعابير دقيقة حتى اصبحت اللغة العربية لغة العلم والحضارة اذ ذاك . ان ذلك كله يعنى اننا لا نتف الان امام تجربة نخشى عليها انفسل ، فقد مرت اللغة العربية بهذه التجربة ، وبرهنت على حيويتها وقدرتها المتجددة على الاستيعاب . فمن القدماء الذين عنوا بتسجيل المصطلحات نذكر « الخوارزمي » ، صاحب كتاب « مفاتيح العلوم » ، « والجرجاني » صاحب كتاب « التعمينات » و « الجواليقي » صاحب كتاب « المعرب الاعجمي في لغة العرب » ، و « الخفاجي » المصري جامع كتاب « شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل » « والتهاتوي » صاحب كتاب « كشف اصطلاحات الفنون والعلوم » . . . وان ما اثبت من اسماء المصطلحات في الكتب العربية اكثر منها وردت في هذه الكتب بكثير .

وفي العصر الحديث كان التمسك الاسمي من انبعاث حركة المجامع ، العمل لاعداد لغة ترموية شاملة في مفرداتها واصطلاحاتها الاستعمالية التي تجري مجرى الوسائط في تادية الغرض العلمي .

فالمصطلح لا يعنى تسمية جامعة مائة للمسمى كما يظن بعض الناس ، بل يرمز اليه رمزا لصلة بين الرمز والرموز اليه . وهذه الصلة تختلف تو . وضعفا على حسب الاحرف المؤسسية للمعنى . فالمصطلح مقصور دائما على احاطة بمعنى المسمى الاصطلاحي . ومن اجل ذلك كثيرا ما نول : هذه الكلمة لغة معناها كذا واصطلاحا هنا كذا . . . ويعتد المصطلح في استعماله وفيوعه على الرغبة والفسرة والدعوة وكذلك الزمان يساعد على ترسيخه وتثبيتته او على زعزعته واقفائه .

ان الاصطلاحات من الامور الوجودية والاعتبارية ، فالمكلمات المصطلح عليها في المعانى العامة لا تدل على تلك المعانى من حيث اللفظ دلالة تامة ، لذلك نبيس من الضروري ان تترجم الكلمة المصطلح عليها ترجمة حرفية بل من الاوثق ان نتحرى الكلمة التي يمكنها ان تدل على المعنى المطلوب على احسن الصور وأوضحها .

وما يجب ملاحظته في اختيار المصطلحات ان بعضها يتقسي بطبيعتها محدودة الاستعمال فلا يستعملها عادة الا طبقة من الاختصاصيين . ففى مثل هذه الحال يمكننا ان نستعمل الكلمات الاجنبية بل ويجوز لنا ان نبتقيا على هيئتها الاصلية . اما بعض المصطلحات الاخرى فقد تكون عرضة للانتشار والذبوع ، وقد تدخل لغة الشعر والادب ، وهنا يتوجب علينا ان نختار الكلمات العربية ما استطعنا الى ذلك سبيلا . اما اذا اضطررنا الى استعمال كلمة اجنبية فيجب ان نمررها تعريبا تاما . وذلك بان نترغها في قالب عربي يسهل لفظها على الناطقين بالاضاد .

لا شك ان غاية الكمال في اللغة هي ان يخصص لكل معنى كلمة معينة او تعبير معين وان لا يلتبس في الذهن معنيان من كلمة واحدة ، في حين انه لا يزال في كل اللغات كثير من الكلمات التي تدل على معان مختلفة وحتى على معان متباعدة . فاذا كانت المصطلحات قد وصلت الى درجة الكمال في بعض العلوم مثل الفيزياء والرياضيات فانها بعيدة عن هذه الدرجة في العلوم الانسانية . وهنا تانى اهمية مقارنة الاصطلاحات التي تستعملها الامم المختلفة . لكي تدلنا على ما يجب عمله في مثل هذه الاحوال ولا سيما لكي نتجنب تقليد احدى اللغات بجميع نواتصها تقليدا اعمى .

فالمصطلح بوضع احيانا لاننى ملايسة بينه وبين مسماه ، وأوهى صلة بينهما . وانما القضية التي تطرح نفسها على الساحة العربية هي : تميم المصطلحات ونشرها واستعمالها في جميع الاقطار العربية موحدة متفقا عليها . فاننا لا نستطيع ان نتصور اصطلاحا تاما في ذاته غير قابل للتنفيذ والمناقشة بل وقد لا نصل اليه ابدا . وانما الهدف ايجاد لغة علمية واحدة بجميع مصطلحاتها في الوطن العربي . فاللفة للامة جميعا ، ويجب ان نستكمل كل ما يدعوها البقاء الخصب النامى ، وان تكون قادرة على تساؤل الاشياء مهما استددت بصورة عربية بحتة تخدم الادب والعلم والفن والصناعة . . . وان اعداد العربية من حيث كونها لغة ترموية وانفة ، لا يضرها مطلقا اذا كانت جماعة الاختصاص تتفق عالميا على الفاظ علمية بعينها . فهذا شئ يحدث في جميع اللغات الحية .

ومنذ مطلع القرن العشرين بذل بعض الباحثين

مجهودهم في اختيار مصطلحات مفيدة . فنذكر منهم :

(1) الدكتور أمين الملوغ في معجبه الحيوان واستاء النجوم .

(2) الامر العالم مصطفى الشهلي في معجبه النباتات .

(3) الدكتور محمد شرف في معجبه العلم .

(4) الجبع اللغوي المصري في مصطلحاته .

(5) الدكتور احمد عيسى في معجبه للنبات .

وتد بحث موضوع « المصطلحات العلمية » في المؤتمر العلمي المصري الاول الذي عقد في الاسكندرية في صيف عام 1953 . واستقرت المناقشات على ضرورة توحيد المصطلحات في البلاد العربية جميعا .

وتطرق المؤتمر العلمي العربي الثالث الذي عقد في القاهرة في صيف عام 1955 ، الى بحث هذا الموضوع ايضا وتكلفت فيه شعبة للمصطلحات درست توحيد الترجمة العربية لنحو عشرة آلاف مصطلح في اربع حلقات هي :

(1) حلقة العلوم الرياضية والطبيعية واللك

(2) علوم النبات والحيوان والصحة العامة .

(3) علوم الكيمياء والجيولوجيا .

(4) علوم المواد الاجتماعية .

وفي ربيع 1956 وافق مجلس الاتحاد العلمي العربي على خطة بشأن المصطلحات جاء فيها :

- : الامتداه بالمعجم والتسوائم المعبرة في اللغات الاجنبية التي حصرت المصطلحات الدالة على المعاني الكلية في كل فرع وتشتمل على المصطلح الاجنبي السدال على المعنى وتعريفنا دقيقا للمصطلح بحيث يكون من اليسور وضع اللفظ العربي وترجمة التعريف الى اللغة العربية .

- : طبع مصطلحات كل عادة في معجم خاص ويرسل المعجم الى وزارات المعارف والهيئات العلمية والجامع اللغوية ويلتزم استعمالها .

واهم ما اراه في هذه الخطة هو « الترام الاستعمال » واتخاذ قرار بالتمريب ، ولكننا مع الاسف ما زلنا نجد انفسنا حيث كنا !! والسبب في ذلك ليس له علاقة بطبيعة اللغة ولا بقضاياها التي تواجهها ، ولكنه يكمن في السياسة التي تسيطر على المؤسسات العلمية العربية التي تنأى باللغة القومية على المجالات العلمية لاسباب مخلفة لا مجال لبحثها الان .

وسائل نمو اللغة في !تعبير عن معاني الحياة والفكر:

يصاحب النمو الحياة ويدل عليها . ولذا فاللغة الحية لغة نامية في الفاظها وفي اساليبها . واللغة العربية هي احدى اللغات الحية النامية . وحيوية اللغة تقاس بقدرتها على التعبير بالناظ خاصة من كل ما يجول في الفكر وما تتعامل به الحواس . وقد نمت اللغة العربية في سدارج حياتها تطويلة عبر العصور ، فتراكت الفاظ كثيرة من المهجوز وغير المستعمل والمخمرور في الكتب العربية ، المنشور منها والمخطوط ، المعروف منها والتائه بعد في زوايا المكتبات والاطبية ، ما يدمم اللغة الحاضرة ويؤلمر لها الامكانيات الواسعة للاستيعاب المستجد .

فاللغة العربية كما تضم احدى الروايات ، تتألف من ثمانين ألف مادة ، والعلماء يقولون ان المستعمل منها عشرة آلاف . فضلا عن هذه الثروة اللفظية الهائلة التي تعتبر رميدا ضخما للغة ، فان اللغة العربية تشتمل في طبيعة تكوينها على عناصر نموها وحيويتها . فهناك : القياس والاشتقاق والقلب والابدال والنحت والارتجال والتمريب .

فالقياس من عناصر اللغات الحيوية التي تعدها بالقوة والتمساء والنهوض والفتوة دائما ، وان استقرار القواعد بحد ذاته ليس الا ضربا من ضرب القياس . فالقياس استنباط مجهول من معلوم فاذا اشتق اللغوي صيغة من مواد اللغة على نسق صيغة مألوفة في مادة اخرى ، سمي عمله هذا قياسا . فالقياس اللغوي هو موازنة كلمات بكلمات او صيغ بصيغ او استعمال باستعمال رقبة

بنهم أن لفظة العرب قياساً ، وإن العرب تشتق
بعض الكلام من بعض» ، وهناك الوان من الاشتقاق
متبايزة ولكن أشيعها وأخصبها هو الاشتقاق الصغرى
ويعنون به : « أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقها معنى
ومادة أصلية ، وهيئة تركيب لها ، ليبدل بالتانية على
معنى الاصل ، بزيادة مفيدة لاجلها اختلافا حروفاً او
هيئة . مثل شارب من شرب ، وحذر من حذر .»

ونكر أن الاصل في الاشتقاق أن يكون من
المصادر ، وأصدق ما يكون في الأفعال المزيدة والصفات
منها واسماء المصادر والزمان والمكان . ويغلب في
العلم ، ويقال في أسماء الاجناس كغراب يمكن أن
يشق من الاغراب . وجراد من الجرد . والاعلام
غالبها منقول بخلاف أسماء الاجناس فلذلك قل أن
يشق اسم جنس لانه اصل مرتجل ، فان صح فيه
اشتقاق حمل عليه كغراب من الاغراب . وقد اشتقوا
حديثاً (مستشفى) مكان الشفاء و (متحفاً) مكان
التحف ، و (مصرفاً) مكان المصرفي . . . الخ .

وقد حمل تيار الجهود بعض المحدثين على القول
بان الاشتقاق سماوي مقيد بزمان هائلة وأشخاص
معينين .

وبالرغم من أن الاقدمين جروا على الاشتقاق
من الاسم العرب ، فقلوا : هندس ودرهم ، وخنق
وقرطس . وجرى المصرون على اشتقاق كهـرب
وكهربائية من الكهرباء ، ومغنت ومغناطيسية من
المغناطيس واشتقاق اكسد من العرب اكسيد . أقول
بأثرهم من ذلك كله فقد وجد في العصر الحديث من يمنع
اعطاء ما عربته العرب من اللغات واستعملته في كلامها
حكم كلامها فيشتق ويشق منه بقولهم : « ومحال أن
يشق المعجم من العربى ، أو السمرى من
المعجم . . .» !!!

ونحن نعتقد أن هذا مفهوم خاطيء فضلاً عن
جهوده واعاقته لحيوية اللفة . . . وهم في ذلك
يستندون الى مناقشات جدلية مبنية على قضيا غم
مسلم بصحتها . . . وإن المشتقات تنبو وتبخر حين
الحاجة إليها . فقد كان العرب ، في علاقاتهم التجارية
والسياسية مع الاقوام المجاورة ، منذ القدم ، يتناولون
اللفظ الاعجمى ، فيصقلونه ويهذبونه بحسب أوزان
لغتهم ومنطق لسانهم ، فيخرج من لسانهم كانه عربى
صميم . وهكذا فإن هذه الالفاظ تعتبر عربية فصيحة ،
فكيف يمكن بعد ذلك أن تعتبر لغات مستقلة أو أن

في التوسع اللغوي وحرماً على اطراد الظواهر
اللغوية . وقد توسع الكوفيون في القياس ، وابلحوا
التسج على القليل النادر ، فلا يكادون يـرون في
الاساليب المروية شذوذاً بل طرقاً متباينة ، لساناً
تخرج منها ما نشاء وقد روى عن ابي على الفارسى
وتلميذه ابن جنى : « ما قيس على كلام العرب فهو من
كلام العرب » . ولا شك أن لحرية الراي في الامور

الفلسفية والاجتماعية التى نمت وازدهرت في القرنين
الثالث والرابع الهجريين ، كان لها صنى في البحوث
اللغوية أيضاً ولا سيما في القياس .

وكان يناهض هذا التيار تيار آخر هو السماع
اذ اكتفى اللغويون المحافظون بالسماع ، فوققوا في
وجه التطور الذي تعنيه العربية وتدل عليه طبيعتها
النابية ، وما زال مع الاسف بعض اللغويين اليوم ،
يتسكون بهذا الاتجاه ، ويحاولون ترقيق امزاج
الماضى والتعلمى عن مطالب العصر ، بل ويتحولون
بالبحوث اللغوية الى ما ينفر من العربية ، ويجعلها
مستحيلة على محبيها ، ناهيك عن اعدائها . . . هذا
مع العلم أن حجة السماع وأهية ، فقد ورد على
لسان ابي عمرو بن الملاء قوله : « ما انتهى اليكم

ما قالت العرب الا اتله ولو جاءكم وافرا لانتهى
اليكم علم وشعر كثير » . . . فالسماع مبنى على
الحفظ ، وما لم يحفظ أكثر مما حفظ ، مما يسوغ لنا ان
نقبل ما يؤيده القياس ، ويلقى ما يتمسكون به من
حرمة السماع .

اما الوسيلة الثانية لنمو اللفة ، ولا سيما من
حيث الالفاظ والصيغ فهي ما يسمى بالاشتقاق .
والصلة بين القياس والاشتقاق وثيقة . فالاشتقاق
عملية استخراج لفظ من لفظ أو صيغة من أخرى ،
والقياس هو الاساس الذى تبنى عليه هذه العملية
الاشتقاقية كى يصبح المشتق مقبولاً معترفاً به بين
علماء اللفة . أنها طريقة في تنمية اللفة وتوسيعها ،
تقوم على تحويل العناصر الموجودة في اللفة ، وتولدها
توليداً طبيعياً ، وتظل الفروع المولدة متصلة بالاصل .
ويبقى ميسمه اللفظى والمعنوي ماثلاً فيها ، على تنوع
وتوسع .

فإذا لم يوجد للكلمة الاعجمية مقابل في العربية
يشق لها لفظ عربى والاشتقاق قياسى في لفة العرب ،
قال احمد بن فارس : « اجبع اهل اللفة الا من شذ

تحافظ على عجميتها والراي عندها انها الفاظ عربية تخضع لقواعد اللغة ونحوها وصرها دون اي تمييز الا ما حكم به اللوق السليم في عذوبة الجرس وسهولة اللفظ .

اما اشفاقهم على اللغة من الفساد . ويطلان حقاقتها ، فهي حجة واهية وغير مقبولة واللغات الحية الماصرة دليل على ذلك . فان الدراماسات اللغوية تبين ان اكثر من نصف الفاظ اللغة الانجليزية ليست انجليزية الاصل ، وان اقل من نصف كلمات اللغة الفرنسية من اصل لاتيني والباقي من اصول يونانية ومانية ، وانجليزية وايطالية ، واسبانية وبرتغالية وعربية وهنغارية وعبرية وسلافية وتركية ومن لغات افريقيا ، ومن اللغات الآسيوية ومن اللغات الأمريكية الهندية ...

وكما ان الحاجة ماسة في العصر الحديث الى الاستغناء من المعرب ، فان الاستغناء من الجاهد ليس باقل اهمية . فقد وقف كثير من اللغويين بالاستغناء من الجاهد عند حد السماع . ففى « لسان المعرب » في مادة (جرب) ورد :

« وجوربه فتجورب . اي البسته الجورب فلبسه » . وورد في محاضرات الراغب . « الحجاج لما جنق الكعبة » ، اي انه اشتق فعلا من «المجنق» . وورد في نزهة الجليس قول الامام عليه السلام : « مخرجونا كل يوم » . وورد في نشوار المحاضرة : « فرطلتها» اي فوزنتها في يدي لاعرف ثقلها اثنته من الرطل ...

ولا شك ان القياس في هذا الباب يفتح الباب واسما امام اللغة في استيعاب معاني التعامل مع الادوات الحضارية الحديثة التي تدخل في حياة الانسان بالمشترات والمقات كل يوم .

فلاستغناي في اسما الاحداث ضرورى ، لابد منه ولا يجوز ان يكون عدم السماع حجة في منع قياسه وادراؤه . فانه ربما نظر الى الفعل الذي تفعله كل اداة مستحدثة ، فان استغنما ان نشق لها من فعلها اسما فذاك . والا نظرنا فيها على طريقة التعريب ، فان وضع الكلمات الحديثة في اللغة يجرى بصورة رئيسية اما على طريقة الاستغناي واما على طريقة التعريب ، وقد يجمع بينهما .

التعريب :

التعريب والاعراب في اللغة معناها واحد وهو

الابته والانصاح يقال : اعرب عن لسانه وعرب ابان وانصح . وتعريب الاسم الاعجمي ان تقوه به العرب على مناجها . تقول : عربته العرب واعربته ايضا . والمعرب هو ما استعمله العرب من الالفاظ الموضوعه لمعان في غير لغتها .

وقد كان للعرب بعض مخالطة لسائر اللسانة في اسفارهم ، فملقت من لغاتهم الفاظ غيرت بعضها بالنقص من حروفها ، واستعملتها في اشعارها ومحاوراتها حتى جرت مجرى العربى النصح ووقع بها البيان . وفي اللغة العربية من اللغات اليونانية والفارسية والسريانية والرومانية والحبيسية والعبرانية والهندية الشىء الكثير ...

فالمعرب كثير في كلام العرب وفي علوم العرب قديما وحديثا . والاقتراس عام بين اللغات لا تستغنى عنه اي لغة ما دام العلم مشاعا بين الامم ... والعلم في نمو وازدياد ، فلا بد ان تزداد معه المصطلحات والمنسيات . فالتعريب اذن ضرورى لحياة العلم ... ولا خوف منه على كيان اللغة . فانما اللغة قائمة بحروف معانيها واقوالها وصرها ونحوها وبياتها وشعرها وخصائصها التي تمتاز بها ، وان بضع مفردات غريبة عنها قد اتجت اليها ، فاضفت عليها رونقها الخاص وضمتها بطابعها ، لا تؤثر في جوهرها ولا في هويتها .

فالتعريب قد يكون آخر ما يلجا اليه في التقل عندما لا توجد كلمة عربية تترجم بها الكلمة الاعجمية او يشتق منها اسم او فعل او يتجاوز منها مجاز او ينحت منها لفظ .

واللفظ المعرب يتبع قواعد التعريب في بنائه وتركيبه سواء اشبه العربى من كل وجه او حفظ على ما يدل على اعجميته .

ان العلوم التطبيقية الحديثة وما تضيفه في كل يوم من الادوات والمخترعات الجديدة تتطلب الفاظا كثيرة لهذه الآلات والادوات ، كما ان طبيعة بعض العلوم مثل الكيمياء والفيزياء الحديثة التي تتميز بهذا التطور الضخم السريع ، وبما تتميز به مصطلحاتها من حيث ارتباط الفاظها بعضها ببعض ، كس ذلك يبرر لنا اللجوء الى تعريب الالفاظ ، والا اختلط الامر علينا وضاع الهدف وبقينا متخلفين عن اللحاق بالركب المتقدم والبدء في سلم المشاركة والابداع . فالتعريب يضى اللغة بلخيرة من الكلمات التي تبهر عن كل ظلال المعاني الانسانية ، كما انه يمدنا

بفرض من المصطلحات العلمية الحديثة التي لاكتسفتها
عنها في نهضتنا العلمية .

وكان هناك فريقان في أمر التعريب ، فريق يذهب
الى وجوب اتباع الكلمة المعربة وزنا عربيا ، فليس
يكفى ان تتكلم العرب باللفظة الاعجمية حتى تغدو
معربة ... وفريق آخر وفيه سيويه وجمهور اهل
اللغة يذهب الى ان التعريب ان تتكلم العرب بالكلمة
الاعجمية مطلقا يلحقونها بأبنية كلامهم حيناً ، وحيناً
لا يلحقونها . بل وقد ذهب بعضهم الى القول : اذا
عربت اللفظة الاعجمية وتمكنت لدى العرب ، صرفها
العرب واثبتوا منها مثل : سباح ، فرند ، زنجبيل ،
لجام ... الخ .

ونحن نرى اللفظة كثيرة عربت وشاع استعمالها
مع وجود نظيرها في اللغة . مما يدل على مرونة هذه
اللغة وقدرتها على الاستيعاب والنقل من اللغات
الآخري ، دون حرج . فلم يصبها الفساد ، ولم تفقد
هويتها بل على الضد من ذلك ازدادت غنى وخصوبة
 واصبحت لغة عالمية للحضارة والفكر ، لفترة طويلة . .
ومهما يكن من أمر فلا بد من اباحة التصريب
باوجهه المختلفة ونقل الاسماء الاعجمية الى العربية
بحروفها وذلك مثل اسماء الاعلام الاعجمية واللباس
والشراب والطعام والاثاث والعقاقير الطبية غير
العربية والادوية والعلاجات المادية واسماء الحيوانات
والنباتات التي لم يعرفها العرب ولا هي من بلادهم
وغير ذلك ... الخ .

ولعل من الواجب ان تتعارف جميع المؤسسات

اللغوية على اصول يمكن اتخاذها قواعد للتعريب

يقاس عليها ويجري على نسقها ، ويمكن تطبيقها

والسهر عليها في التعريب ، لكي تصبح الآداب العربية
حينئذ وجدت متحدة الالفاظ في المصطلحات ، فيسهل
العلم وتوحد مناهجه ويعم نشره في جميع الاقطار
العربية .

وان ما يسمى باقتراض الالفاظ في اللغات الأخرى
ليس سوى الوجه الآخر من التعريب الذي يبيح لنا
نقل الالفاظ الاعجمية دون تغيير أو تشذيب .

فقد أصبح اقتراض الالفاظ بين لغات أوربا أمراً
مالوفاً ... وتحرص المعاجم المؤلفة لهذه اللغات على
بيان الكلمات الأصلية ، والكلمات المقترضة مع ذكر
اللفظة المستعار منها . فهناك لغات حديثة يتحرج
أهلها في قبول كل اجنبى من الكلمات ... وهنالك

لغات تحرب بذلك الفيض الزاهر من الالفاظ المستعارة
كالانجليزية التي يؤكد لنا بعض الباحثين ، كما اثبتنا
سابقاً ، ان أكثر من نصف كلماتها اجنبى الاصل .
واقتراض الالفاظ في اغلب حالاته وليد الحاجة حيناً او
الاعجاب حيناً آخر ، كما رأينا في الالفاظ المعربة التي
شاع استعمالها مع وجود نظيرها في الاصل .

النقل المجازي :

وهو طريقة في التوسع اللغوي تستمد من اللفظة
نفسها ، وتفيد من عناصرها اللفظية الماثنة والمهجورة .
وهذا الاسلوب يطبق عليه اللغويون اسم المجاز مرة
والنقل مرة أخرى . اما المجاز فهو تسمية الشيء باسم
شيء آخر يقاربه او يتصل بسبب منه .

وقد يغلب استعمال لفظ في معنى على سبيل
المجاز ، حتى يصير المجازى هو الذى ينصرف
اليه الذهن عند الاطلاق . ومن هنا يمكن بعث الكلمات
القديمة للدلالة على معان حديثة بطرق النقل المجازي .
ولا يلبث اللفظ لغبة استعماله في المعنى المجازي ،
الا يفهم منه عند التجرد من القرينة الا هذا المعنى
مثال ذلك :

المدركة ، الفواصة ، الطيارة ، السيلرة ،
الحافلة ... الخ .

النحت و التركيب :

التركيب امر من امور النحت . فالكلماتان تركبان
احدهما بجانب الأخرى في كلمة واحدة ، ويتحات من
اجزاء كل منهما ، تنتهيان الى وضع هو النحت عينه .
ويرى بعض اللغويين ان النحت والتركيب امر واحد
بل ويذهبون الى انها لون من ألوان الاشتقاق .
وكان القدماء يطلقون «التركيب» على «النحت» كما هو
راي الخليل . ومن اللغويين المعاصرين من يعبر عن
النحت في معناه الاصطلاحي « بالتركيب والاختزال» .
ويعرف القدماء النحت بقولهم : انه استخراج
كلمة واحدة من كلمتين او أكثر .

فالنحت وجه من وجوه نقل الكلمات الاعجمية
التي لا مقابل لها ، الى العربية والنحت من كسلام
العرب الذي وقع في اللفظة كثير مثل : البسملة ،
الحمدة ... اما امثلة النحت المنسوب فهي كثيرة
مثل : عيشمى ، وعبدري ... الخ وبالرغم من
اختلف آراء المعاصرين في التوسع باستعمال النحت
في اللفظة الحديثة ، يجمعون على ان النحت الساتف
يزيد العربية الحديثة غنى فهناك من يقول بضم

بحيث يصبح لكل مصطلح علمي مقابل عربي مكسوم

من كلمة واحدة ذات معنى محدد .

الطرق الكفيلة بتمكين اللغة العربية

من مسابرة التطور العلمي والتقني :

لقد اجتازت اللغة العربية في عصورها الذهبية محنة الترجمة أيام العباسيين حتى أصبحت في طليعة اللغات العلمية . ثم جاءت عصور الانحطاط ففترت مقومات العربية كتابة وكلاما ، ووجد نشاطها حتى أصبحت مفتقرة الى المصطلحات العلمية والفنية ... وقد بلغ بها الحال في نهاية القرن التاسع عشر واولائل العشرين ان لا يرى لها اثر الا بين اناس يعدون على الاصابع اذ كان لسان التدريس واغلب الصحف باللغة التركية . وبعد الحرب العالمية الاولى بدأت حركة هربية نشطة تعنى باللغة العربية وبالتراث العربي . وازدهرت حركة التعريب . وكانت تسابير في قوتها وضعفها ، قوة النضال الاستقلالي و التحرر من قيود الاستعمار . فقد انبثقت حركة الجامع اللغوية في العقد الثاني من القرن العشرين . فتأسس المجمع اللغوي في دمشق ، وفي 1926 م تأسس المجمع اللغوي العراقي وكذلك قام المجمع اللغوي في القاهرة وكان القصد الاسي لانبعث حركة المجمع ، العمل لاعداد لغة قومية شاملة في مفرداتها واصطلاحاتها الاستعمالية لاستيعاب المعاني الحضارية المستجدة . قامت هذه المجمع اللغوية ، تعضدها جهود لقوانين كثر بانجازات مشكورة ولكنها لم تحقق الهدف الذي من اجله وجدت . وليس من شاننا الان ان نقوم هذه الجهود . فقد كانت هنالك انجازات مهمة وتخطبات اتخذها اعداء اللغة العربية للتشنيع والتشهير والسخرية لكي يعيقوا تيار التعريب بل وللقتضاء عليه انا ما سنحت لهم الفرصة .

لقد راينا فيما سبق ان اللغة العربية تحمل في طياتها وفي حقيقة تركيبها ووجودها ادوات تعتبر من خصائصها الاساسية ، تكفل لها النمو والتطور المتجدد لاستيعاب معاني جميع ما يبدهه الانسان ويصنعه في حياته المادية والفكرية . وليس هذا بالامر الجديد على العربية لكي تخشى منه عاقبة الاخفاق ، فقد مرت العربية بهذه التجربة من حيث المبدأ وذلك في عصورها التاريخية الزاهرة . ومن هنا نستطيع ان نستخلص

الحاجة الى التحدث ، لا لشيء الا ان علماء العصر العباسي على حد قوله لم ينحتوا كلمات علمية ، وآخرون يقولون انهم لا يركنون اليه في المصطلحات الجديدة الا نادرا لا لسبب الا لانه على حد قولهم نادر في العربية . الخ . وهناك فريق معاصر آخر يرى في التحدث وسيلة لاغناء العربية الحديثة ، وطريقة في التوسع يكفل لها مواكبة الحضارة وعلومها .

الا نرى اننا في كثير من الاحيان نعبر عن بعض المعاني العلمية بتراكيب متنوعة ، فاذا كانت هذه التراكيب قصيرة وسهلة يمكننا ان نستمر في استعمالها على حالها ، اما اذا كانت طويلة وصعبة فمن مصلحة العلم واللغة ان ننحتها لاجل تسهيل استعمالها وانتشارها . ومؤدى هذا الرأي انه يقول بقياسية التحدث عند الحاجة ، ولا شك ان هذا طريق سوى من طرق نمو اللغة وتطويرها . فقد قال المتقدمون مثلا : اللاتماهي ، اللاضروري ، اللادورية .

ونقول الآن : اللالسكي ، اللامركزية ، اللاشعوري . الخ . لقد برهن بعض الباحثين المعاصرين على ضرورة جعل التحدث قياسيا لكسي يستخدم في مصطلحات العلوم الحديثة ولا سيما في المصطلحات الطبية . ولكن مع ذلك كله ما زال كثير من اللغويين يقفون من ظاهرة التحدث موقف المتردد في قبول قياسيته ، وما زالوا يرون الوقوف فيه عند حد السماع .

ونحن لا نرى في هذا التضييق الا اعاقا لمسيرة اللغة ، في الوقت الذي نبحت فيه اللغة من جميع امكانياتها وخصائصها لكي تستوعب طوفان الحضارة الحديثة في ادواتها ومعارفها وعلومها ...

وربما كان من المفيد ان نفتح باب القياس في التحدث على مصراعه على ان تراعى فيه اوزان الكلمة العربية وانسجام الحروف عند تاليفها ...

فالمصطلحات العلمية المركبة من عدة كلمات ثقيلة
الاستعمال وتوجه جميع اللغات الحية الى جعلها
قصيرة مستساغة . وليس امامنا ونحن في دور التجديد
السريع الا ان نفيد من تجارب اللغات الحية . فاما
ان نعرب باثقل واما ان نحدث من ((المصطلحات
الوصفية)) كلمات مفردة مستساغة لا لیس فيها ،

القول : أن تعريب العلوم أو عدم تعريبها ، وأن تعريب التعليم الجامعي بفروعه العلمية المختلفة ، أو عدم تعريبه إنما هو قضية لا علاقة لها بطبيعة اللغة العربية أو بقدرتها على الاستيعاب ، ولكنها قضية تتعلق بتيار سياسي يعادي العروبة وتراثها ولغتها وبالتالي يعادي الأمة في جميع أقطارها ، ويمنعها من المسيرة في مدارج الحرية والاستقلال الحقيقي .
فإن أسير مبادئ التربية تقول : يستطيع الفرد أن يستوعب بلغته القومية أضعاف أضعاف ما يستطيع استيعابه باللغة الأجنبية ، مهما كانت درجة إتقانه لهذه اللغة .

(هذا فضلا عما سبق وأشرنا إليه من أن الإبداع والابتكار مرتبطان ارتباطا عفويا بلغة الأم أي باللغة القومية) .

نقول أن قضية التعريب وعدمه مرتبطة بهذا التيار من ناحية ومن ناحية أخرى ترتبط بذلك التيار الجامد المتوقع على نفسه ، المنهق والمتقعر بلغته والمنقطع في أسلوبه ، فإن هذا التيار مع الأسف من حيث النتيجة هو الذي يمد تيار المتكبرين للعربية وتراثها وقبها بالحجج العاجزة .

وهناك من يقول بتعريب المصطلحات العلمية والدوريات الأجنبية وإمهات المصادر والمراجع العلمية الموضوعية باللغات الأجنبية الحية أولا ، لكي نبدا تعريب التعليم الجامعي ولا سيما في الكليات العلمية . وهذا يعني أيضا من حيث النتيجة أن تبقى تبعنا ، متأخرين عن التيار العلمي . فإن الأبحاث العلمية والاختراعات ، تضيف إلى المعارف الإنسانية كل يوم عشرات الألفاظ . ونحن نعتقد أنه لا خير لنا أن نبدا بممارسة حركة التعريب في مجالاتها المختلفة وبدوات هذه اللغة النامية التطور ، التي أوضحناها سابقا .
فإن التفاعل بالممارسة العلمية الجادة وتوطيد العزم على ذلك ييسر لنا التغلب على العقبات التي اجتازتها أمة حديثة لم تكن لغتها القومية الأسباب المتوافرة في خصائص العربية وخلاصة القول فإن الوسائل التي يمكن الاستفادة منها ، بصورة رئيسية لتكوين كلمات جديدة بقصد الدلالة على معان جديدة تتلخص في ثلاث طرق أصلية هي :

(1) الاشتقاق (2) التعريب (3) النحت . ونحن نعتقد أن الآراء المختلفة حول مدى استخدام هذه الأداة أو تلك أو حول التحفظات أو التحديدات التي يبديها

بعض اللغويين على استعمال هذه الأدوات لا يمس جوهر اللغة في شيء . فكيف يمكن أن يكون غنى اللغة في وسائل نموها سببا لاعاققتها عن التقدم ومواكبة الحضارة العالمية .

لجأت بعض الجامعات اللغوية إلى وضع أولويات في استخدام أدوات نمو اللغة مثل الاشتقاق والنحت ، مدفوعة بحرصها على سلامة اللغة . فوضع المجمع اللغوي العراقي عند تأسيسه سنة 1926م خطة في وضع الكلمات والمصطلحات العلمية . جاء فيها :
(« أن وضع الكلمات الحديثة في اللغة يجري إما على طريقة الاشتقاق وإما على طريقة التعريب ، ولا مانع من الجمع بينهما ، ويرجع إلى النحت عند الحاجة ») . . .

وكذلك : (« لا يذهب إلى الاشتقاق في وضع كلمة حديثة إلا إذا لم يعثر في اللغة على ما يؤدي معناها ، بخلاف التعريب . فإنه يجوز تعريب كلمة أعجبية مع وجود اسم لها في العربية ») . . . وكذلك : (« يرجح الشائع المشهور من المولد والنخيل على الوحشي المهجور من الكلمات التي في معاجم اللغة ») . وهذه

قواعد جميلة يقبلها المنطق والحرص على رونق العربية وجمالها ، ولكنها لا يمكن أن تكون سببا في إعاقة مسيرة اللغة بحجة القصور في العمل أو الإيمان في التدقيق والاختيار . . . فليس المقصود مطلقا الوصول إلى المصطلح الذي لا يمكن أن يفضل مصطلح آخر . الخ . وقد أشرنا إلى الطبيعة الرمزية للألفاظ فيما سبق .

أما مجمع اللغة العربية في القاهرة فقد حدد طريقة في وضع المصطلحات بالتنقيب عنها أولا في كتب اللغة والعلم القديمة ، فإذا وجدها اعتمدها . وإذا لم يجدها لجأ إلى الاشتقاق أو المجاز أو النسب أو التصغير ، أو نحو ذلك من القوانين اللغوية ، حتى تكون ثروة مستمدة من أصولها ومواردها فنستغنى بها عن سواها ، ونستطيع أن نثبت أمام جيسوش الألفاظ الأجنبية التي تحاول أن تغزوها . . . ويجيز المجمع استعمال بعض الألفاظ الأعجبية عند الضرورة على طريقة العرب في تعريبهم . . .

الخاتمة :

(5) يقع باب الوضع للمحدثين على مصراعيه بوسائله المعروفة في نمو اللغة وان يرد الاعتبار الى المولد ليرتفع الى مستوى الكلمات القديمة ، وان يطلق القياس في الفصحى ليشمل ما قاسه العرب وما لم يقبوه ، وان يطلق السماع من قيود الزمان والمكان ليشمل ما نسمع من طوائف المجتمع كالحدايين والبنائين وغيرهم من كل ذي حرفة . وان قبول المسموع الشائع من هذه اللغات الاجنبية التي دخلت الى لغة المصانع والحرف والمختبرات ، ولا سيما على نطاق البلاد العربية ، يوقعنا في البلبله والترادف ، وهنا ياتي دور المجمع اللغوي الموحد الذي اثرنا اليه . فالالفاظ الذخيلة في عامية كل قطر من الاقطار العربية تختلف باختلاف المؤثرات السياسية والاجتماعية ... الخ .

(6) هناك مخاطرة في ترك علماء اللغة يعملون وحدهم ، دون ان يعمل معهم علماء مختصون في المادة التي يعرض لها الباحث ، وذلك بسبب الجهل بمادة العلم نفسه .

(7) وضع معجم تاريخي للالفاظ العربية ، بحيث يبين المعاني المختلفة التي نلت عليها من خلال التصور وعبر العصور حتى وقتنا الحاضر .

(8) وضع معجم لغوي جامع حديث في ترتيبه وسعة مادته واستجابته لمطالب العصر تتعاون في وضعه الاقطار العربية وتلتزم باستعماله .

(9) العناية بتحقيق المخطوطات العربية واحياء ما في المصادر العربية القديمة في مجال اختيار المصطلحات العلمية ...

(10) القيام بحفريات في الجزيرة العربية بحيث يكون للمجامع والمؤسسات اللغوية مساهمة في اعداد التاريخ العربي القديم .

ونحن نعتقد ان تطور اللغة العربية وجعلها لغة التعليم بجميع فروعه وجميع مؤسساته وكياناته ، يعتمد قبل كل شيء على تبنى سياسة التسعير . وان اتخاذ القرار والاندفاع في تطبيقه وممارسته بتوفر جميع المتطلبات اللازمة هو المنطق الحقيقي في معالجة هذه القضية القومية والحياتية للامة .

ان لفنا العربية تواجه في هذه الفترة المعصية من حياة امتنا اخطارا تداخبا من العدو الاجنبي ومن بعض ابنائها مع الاسف . وان الواجب يقضى على الفيورين على لغتهم والحريصين على بقاء امتهم وتدعيم حريتها واستقلالها ان يتكاتفوا من اجل بعث حركة لغوية متطورة ونكية ، تصبح بنتيجتها اللغة العربية لغة العلم والادب والحضارة . تستوعب المصطلحات العلمية وتؤهل علماءها للمشاركة والابداع .

فالمصطلحات العلمية هي الرافد الاساسي للمعاجم والنهوض باللغة على وجه العموم وهي تشمل الفاظ الحضارة الحديثة في شتى فروعها : في المعرفة النظرية وفي التطبيقات العلمية ولا يراعى في الاصطلاح الا الافضل مما اشدت اليه مسيبي الحاجة ولو كانت الكلمة اعجبية الاصل .

واخيرا فنحن نود ان نجعل اقتراحاتنا على الوجه التالي :

1) لقد حان الوقت لتأسيس مجمع لغوي واحد ، تعاونه المؤسسات اللغوية الاخرى في مختلف الاقطار العربية تكون مهمته اعداد المفردات والاصطلاحات الاستعمالية الضرورية بالسرعة اللازمة على ان تلتزم جميع الحكومات العربية ومؤسساتها العلمية والثقافية بالتنفيذ . ويدعم هذا المجمع اللغوي دعما ماليا ومعنويا . ونحن نتطلع لان يكون اتحاد المجامع اللغوية نواة فعالة لهذه المؤسسة .

2) ايجاد هيئة جامعية ، فيها كفاءات ممتازة من اجل ترجمة الدوريات والحواليات والموسوعات العلمية المشهورة ونشرها باللغة العربية .

3) على المؤسسات العلمية العربية اتخاذ خطوات ايجابية في التعاون والتشاور لرفع المستوى العلمي ، ولكي تتمكن من جعل العربية لغة رسمية للتعليم الجامعي .

4) توطيد الصلات الادبية بين العلماء والمفكرين والعلميين في الاقطار العربية .

المصادر والمراجع

- عثمان سعدي ، قضية التعريب في الجزائر
القاهرة •
- اللسانيات ، مجلة في علم اللسان البشري ،
معهد العلوم اللسانية والصوتية ، المجلد الأول العدد
2 جامعة الجزائر •
- محمد الخضر حسين ، دراسات في العريضة
وتاريخها ، دمشق •
- محمد الخضر حسين ، القياس في اللغة العربية
القاهرة ، 1353 هـ •
- محمد رضا الشيبيني ، تراثنا الفلسفي ، بغداد
1385 هـ - 1965 م •
- مصطفى جواد ، المباحث اللغوية في العراق ،
الطبعة الثانية ، بغداد ، 1385 هـ - 1965 م •
- المكي العباس بن علي بن نور الدين الحسيني
الموسوي ، نزهة الجليس وفيه الادب الانيس ، ج2 ،
النجف - 1967 •
- ابن منظور ، لسان العرب •
- المؤتمر الاول للمجامع اللغوية العلمية ، دمشق
• 1956
- CH. BRUNEAU, Petite histoire de la langue française
Tome premier - Paris 1966.
- ابراهيم اتيسي : من اسرار اللفظ ، الطبعة
الثانية ، القاهرة •
- احمد تيمور : السماع و القياس ، الطبعة الاولى
القاهرة ، 1374 هـ - 1955 م •
- احمد عيسى : التهذيب في اصول التعريب ،
القاهرة ، 1342 هـ - 1924 م •
- اسعد علي : تهذيب المقدمة اللغوية للشيخ
عبد الله الملايلي ، بيروت ، 1388 هـ - 1968 م •
- التنوخى - القاضي - ابو علي الحسن بن علي ،
نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة ، تحقيق عبود
السالحى 5 اجزاء - 1971 - 1972 •
- الجوالقي ، ابو منصور موهوب بن احمد ،
(465 - 540 هـ) ، العرب من الكلام الاعمى على
حروف المعجم ، تحقيق وشرح احمد محمد شاكر ،
طهران 1966 •
- الراغب الاصفهاني ، ابو القاسم حسين بن
محمد ، محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء
والبلغاء ، بيروت 1961 •
- السيوطي عبد الرحمن جلال الدين ، الزهر في
علوم اللغة وانواعها ، جزآن ، القاهرة ، 1387 -
1958 •

صيغة فعلون في العربية

الاستاذ محمد بن تاويت

عشر (الجزء الاول) من اللسان العربي ، فتصفت من بحوته بحثا قيما للاستاذ حامد عبد القادر ، بعنوان : « صيغة فعلون في غير العربية » وفي ذيل الصفحة ، ورد ما يلي :

قدم الاستاذ عبد الله كنون ، الى مؤتمر المجمع في دورته الحادية والثلاثين ، بحثا له في اسم خلدون ، وهل هو مكبر على الطريقة الاسبانية ؟ فاحيل الى لجنة الاصول ، وفي اثناء دراستها له ، قدم الاستاذ حامد عبد القادر بحثه هذا «

وكما نكر في اللسان ، فان البحث نشر بادنا في مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، في الجزء الحادي والعشرين منها .

وقبل ان نعطي الموضوع حقه الذي نزعم به ، نود ان نسجل ملاحظتنا على بحث الاستاذ حامد ، حامدين الله اننا لم نطلع على غيره ، فنهر كراما به ، فعنوانه لا يحصر ما ورد فيه من امثلة ، بل انه انصب « زيادة الواو والنون في آخر الكلمة » عموما ، فكانت هذه « الزيادة » اليتق بالعنوان . وقد ورد في البحث من امثلة الباب كلمة « مجلول » وهذا ان لم يكن تعرض للتصحيف المطبعي ، فانه خارج منه لكونه مفعولا

كما ورد منها « حفازون » وهو ليس من بابنا في الصيغة فالزنة غير الزنة، وان انتهت بما انتهت به الا لدخل معنا من العربية نحو حيزيون وحلزون ، مما زيدت في نهايته الواو والنون قطعا وتحقيقا، كما تنرى»

وكذلك نستبعد من الصيغة ، وان اكرهها القانون الصرقي الصارم ، كلمة حازون وشاعون ، كما نستبعد من الامثلة ما جاء مدغم العين باللام ، وهو صرفيا خاضع للزنة ، ولكننا نريد الفرز ، والتشخيص لفعلون ، هكذا ، كخلدون الذي لامس ما في الاسبانية او صاقبه وعلى نكر ما في الاسبانية من هذا ، فالى القاريء امثلة من هذا القبيل :

Ladron من Ladrar اي النباح ، يقصدون

لقد عرفت العربية صيغة « فعلون » بضم الفاء ، كما في عرجون ، الواردة في القرآن الكريم ، فهي مشتقة من المرج ، لانمرج العرجون كما يقول الزمخشري في الاساس ، وتقبلت من غيرها « عربون » المعرب من اربون ، واشتقت منه في الجاهلية والاسلام ، كما في حديث عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، انه ابتاع دار السجين بأربعة آلاف درهم ، اعربوا فيها ، اي اسلفوا .

وعلى ندره « فعلون » المكسورة الفاء ، فقد قيل انه وجد في العربية ، بمثل صهيون ، كما وجد كذلك مكسورا في السريانية ، واقدم ما لدينا من نص في هذه الكلمة ، قول الاعشى :

وان اجلبت صهيون يوما عليكما

فان رعى الحرب النكوك رحاكما

ولكننا وجدنا الكلمة تشكل بفتح الياء ، كما فعل في فرعون ، وبرزون ، وحرزون ، استقالاتا - ربما - لهذا الانتقال من الكسر الى الضم ، ولا فاصل الا السكون ، ولهذا ، لم يفتلوا شيئا في « صهيون » المفتوحة الصاد ، وتركوا الياء على ضميتها ، وقالوا انه اسم قبيلة كما في البكري ، الذي اورد البيت المذكور ايضا ، على ان كلمة « عشرون » يصح ان تحقق هذه الصيغة ، فهي بكسرها مستقلة بنفسها عن عشر وهو ما نجده في اغلب اللغات ، مثل « بيست » في الفارسية « ويكرمي » في التركية و VIGINTI في اللاتينية ، وما تفرع منها من لغات باختلاف بسيط فهي وحدة . وبهذا تكون قد وضعنا ايدينا على المفتاح ، الذي نبحت عنه ، والسلاح الذي نفتقده في الميدان ، وقد اقتحمه بعضهم فكان « كساع الى الهيجا ، ، ، »

كنت قد سمعت من استاذنا مصطفى السقا ، رحمه الله ، وانا ادرس عليه بكلية الآداب من جامعة فؤاد ، ان خلدون ومثله مما ولد في الاندلس العربي ، على خلقه اقلية متأثرة بمحيطها الخاص .

ومنذ اسبوع وصلنى العدد او المجلد الحادي

ولا شك ان اسم جيحون كسيحون عربى والاشتقاق فيه من جاح كالاشتقاق في غيره من ساح ظاهر بين ، والا فان اسم جيحون بلسان قومه ((أموي)) كما نجد في قول الرودكى من قصيدة له : (من رجال القرن الثالث وأوائل الرابع)

ريك أموي ودرشتى راه او زيد بايم برنيان أيدهمى
وكذلك سيحون اسمه عند قومه « سيرديا »
بحر خوارزم وهو سير و«دريا» أي البحر ، كما
يسمى السابق أيضا «(أمودريا)» بزيادة بحر وأسمه
القديم «(أوكسوس)» ، وقد زاد البكري عليه اسم
نهر آخر اسمه «(عشون)» ذكره مع غيره من أقسام
الفردوس أصحاب الأخبار ، كما قال ولا يعنينا صحة
ما قالوه ، بقدر تقبلهم لهذا الوزن ، كما تقبلوا جيرون ،
فقالوا انه فعلون ، من لفظ جير ، قالوا ، ان جيرون بن
سعد نزل بهذا المكان فسمى به ، فهو عربى اذن ،
وقد ورد في شعر ابي دهبيل الجيمى ، حيث يقول :
طال ليلى وبث كالمخزون ومللت الشواء في جيرون

وقد تدخل الحس العام في جيرون ، فاعتبره جمع
جير ، كما تدخل في «(عشرون)» وأخضعه للتفخيم
الإعرابى ، وما هو بذلك الجمع في شيء .
وكذلك وجدنا «(بينون)» قيل فيه انه على وزن
«(فعلون)» كما ورد أيضا انه على وزن فعلول ، وهو
مكان سمي بينون بن ميناف بن شرحبيل ، فهو عربى
كذلك ، ولا يهمننا الاختلاف في الزنة عند الصرفيين ،
فثبتته كما هو بزيادة الواو والنون ، كما ثبتت سمنون
بعد والى جانبه بينونة ، قال المرار :
وما خفت بين الحى حتى رأيتهم

بينونة السفلى وهى نوازع
وقد يقال ان وزنه فيملولة وله ضرائب وجدنا
عينون ، قالوا : وهى احدى القريتين اللتين أقطعها النبي
صلى الله عليه وسلم تيمنا الداري وأهل بيته ،
والأخرى حبري ، وهما بين وادي القرى والشام ،
وورد عينون في قول كثير :

يجزن ودية البضيع جوازعا
بالليل عينونا فنصف تيبال

وقد وقع لابن جنى في هذا الوزن ان قال ، انه
مثال فائت ، فعلى عليه ابن منظور بقوله : ومن
عجب ان يفوت الكتاب وهو في القرآن العزيز وعلى
أفواه الناس ، قال الله تعالى ، والتين والزيتون ،
قال ابن عباس ، هو تينكم هذا وزيتونكم هذا ، وقد
ورد في شعر السكزي (من القرن الرابع) تسمية

بالتينح المبالغة منه ، اللص ، كانه يقلده في عمله أو
بشر نبح الكلاب عليه

Cabron من Cabra أي المعزاة ، يريدون
بالمكبر منها «(القرنان)» الذي يطلق على الديوث ، فهو
مكبر من المؤنث من المعزاة

Maricon مكبر Marica مصغر Maria والمراد
بمارية مطلق امرأة ، كما يطلقون اسم فاطمة على
المرأة منا ، فهذا المكبر من ماركة تصغر مارية ، يراد
به المخنث ، فهو لا يستحق ان يكبر من المرأة مباشرة
حتى تصغر هذه ، فيكون فيها من ضعف الانوثة ،
ما يؤهل التكبر منه لهذا المؤنث ، فهو كذلك مكبر من
المؤنث وان كانت الصيغة مذكرة ، كسابقها ، ولا يؤنث
كلاهما .

وفي هذا لا بأس ان نحمص ، بحادثة حصلت ذات
يوم ، في أحد الأقطار اتلى تتكلم الاسبانية ، وأنا
بدكان ، حيث دخلت على صاحبه صبيتان له ،
تشتكى احدهما الأخرى ، انها قالت لها «(ماريكونا)»
هكذا بالتأنيث ، فلم يفعل الرجل ، وقال في هدوء ،
لا تقولى هذا يا بنيتى

وللأطفال دخل في نشأة اللغة ، فقد سمعت
الصبيبة الكلمة مذكرة فتصرفت فيها

نعود الآن الى كلمة «(فعلون)» هل هى من
قبيل التكبير الاسباني ؟ وهل زيادة الواو والنون لذلك
خارج عن النطاق العربى ؟

كلا ، وإيم الله ، وان كان بعضهم ، لا يريدنا
مقسمين ، وجهل ما فيه من مقتضيات ننزهه عن
بعضها .

لقد وردت فعلون في القرآن الكريم ، في التين
والزيتون ، وفي شجرة مباركة زيتونة ، ولم يرفض
أصحاب المعاجم العظام ان يكون وزنها فعلون
وفعلونة ، ونكتفى بلسان العرب وتاج العروس .

اذن فالصيغة لا تاباها العربية على قلة ما ورد
فيها ، وهل أصل الزيتون من الشام ، كما قالوا ،
هذا لا يهم ، وقد قبل في العربية الفصحى بوزنه ،
وقالت فيه الجاهلية أشعارها ، كقول ابي طالب :
بورك الميت الغريب كما بورك نصر الرمان والزيتون

وما لنا وللجاهلية التى تشكنا في هذا البيت ،
وعندنا القرآن الكريم والحديث الشريف ، ففى الحديث
نكر لجيحون وسيحون ، كما في اللسان والتاج ومعجم
ما استعجم والوفيات في ترجمة محمد بن ميكائيل ،

الحرباء بلبي قلمون ، وهو عربي لاشك ، قال :
باع بوتلمون لناس وشاخ بوتلمون نهای
اب مروايد كون وابر مروارذ بسار

هذا ما يتصل بالصيغة ، على العموم ، أما ما
يتصل بها علما ، بصفة خاصة ، فاننا نجد بالشرق
في منتصف القرن الثاني ، وقبل ان يعرف العرب
الانديلس بنحو نصف قرن ، فمن المعروف ، كما بالاغاني
ان يزيد ابن عاوية ، كان ينادمه الى جانب الاخطل
سرجون او سرحون الذي كان كالاخطل على النصرانية .

وفي القرن الثاني ، كان عدة رجال ونساء
يحملون هذا الاسم فقد عرف حمدون بن اسماعيل ،
ويذكر الاغاني له حكاية ، مع المغنية دقاق ، التي
كانت منقطعة الى حمدونة بنت الخليفة هررون
الرشيدي ، وعرف كذلك الهاشمي حمدون الحامض ،
وهو جيد الشاعر ابو العبر ، ابو العباس بن
محمد بن احمد الذي لقب بحمدون ، وقد ولد
الشاعر في خلافة الرشيد ، وكان له استواء
ايام ابنه الامين ، وطال عمره فكان من شعراء المتوكل
المبرزين ، وفي هذا القرن عرفت الاندلس والقبروان
اعلاما بهذه الزنة فشبوطون القرطبي ، الفقيه المالكي ،
الذي انتشر على يديه مذهب مالك بالاندلس ، كما
يقول ابن حزم ، هذا في الاندلس ، وعرف بالقبروان
سحنون عبد السلام بن سعيد المولود بالقبروان سنة
ستين ومائة ، واصله من الشام ، قالوا : سمي باسم
طائر حديد الذهن بالمغرب فالصيفة على كل حال في زنتها
وحروفها لا تمت الى الاسبانية في شيء هنا ، وقد ادرك
القرن الثالث وخلفه ابنه محمد المتوفى سنة 256 عرف
بالشرق كما عرف ابوه ، وله مؤلفات طبع بعضها ،
ومما لم يطبع ((اجوية محمد بن سحنون)) و ((الرسالة
السحنونية)) .

قال ابن خلكان الذي ضبط الاسم وذكر معناه :
وفي فتح السين وضبها كلام من جهة العربية يطول
شرحه ، وليس هذا موضعه ، وقد صنف فيه ابو محمد
ابن السيد البطلبوسى جزءا وقتت عليه ، وقد استوفى
الكلام فيه كما ينبغي ، وهو مجيد في كل ما صنفه .

نعم ان الصيغة شغلت النحاة ، فكان قبل
البطلبوسى ، ابو علي الفارسي ، ينظر في الاعلام التي
وردت عليها ويمنها من الصرف ، للعلمية وشبهه
العجبة ، كما قال ، ومما علق في ذهنى منذ التلمذة
بفاس ، ان بعضهم انزل زيادة الواو والتون فيه منزلة
زيادة الالف والتون ، ولكن هذا غير سديد ، لانه

يشمل الصفة كما يشمل غيرها ، مما زيدت فيه الواو
والتون وليس على هذه الزنة وتقدم حيزيون وحلزون
وزادوا عليهما زرجون للمطر الصافي المستنقع في الصخرة
على ان بعضهم يصرف الوزن المنكور وهو علم ، نص
على هذا الامر في شرحه على معنى اللبيب ، في مسألة
تعلق الجار والظرف بحروف المعاني ، وعند قول ابن
هشام ((وهو اختيار ابن عمرو)) ومع هذا فزيادة
الواو والتون فيها من التكبير ما نحسه في زيادة الالف
والتون ، بنحو طوفان وخسران ورجحان وتكران
وسكران وعطشان وشبعان وغرثان وفيمان وحيشان ،
وحيوان ، وان كان الصرفيون فرقوا ، ومن المعاجم
المحدثة التي تكلمت على زيادة الواو والتون في هذه
الصيغة ، معجم عطية ، فقيه ان الواو والتون زيدتا
للتكبير في اللفة السريانية ، وهذا ان استعارته العربية ،
فهو من السريانية لا الاسبانية ، قال هذا عند تعرضه
لكلمة ((جملون)) .

في القاموس : الشيخ والشيخون من استبانت
فيه السن ، قال في تاج العروس معلقا عليه : واورده
بعض شراح الفصيح وقالوا هو مبالغة في الشيخ وبهذا
تكون هذه الزنة معروفة في فصيح اللغة العربية على
انها للمبالغة .

ومهما يكن ، فالاعلام على زنة فعلون ، عرفت
بالشرق في القرن الاول واشتهرت في القرن الثالث ،
شرقا وغربا ، كما رأينا سلفا .

وفي هذا القرن نجد عبد العزيز ((ابن حمدون)) ،
يقول : سمعت الحامض يذكر ان ابنه ابا العبر ولد بعد
خمس سنين خلت من خلافة الرشيد ، كما بالاغاني
بل نجد عرجون بن طالب يذكر مع الشاعر عبد الله
ابن مكهد الاحوص ، ولاشك انه عاش في القرن
الاول ، لان الاحوص مات سنة 105 وبذلك يضاف الى
سرجون ، الذي ذكر ايضا .

وفيه نجد زرقون المغنى ، الذي كان اول مسن
دخل الاندلس من المغنيين ، ومعه زميله علون ، أيام
الحكم بن هشام .

وفيه نجد نكرا لرجل آخر اسمه ((علون)) بفاس ،
فقتل في المكان الذي يعرف حتى الآن بعين ((علو))
بحذف التون ، كما حذفت من صفرون ، وربما كان اسم
الجبل بزهرهون ، اسما اسلاميا ، مقلوبا عن زهرهون
الذي عرف فيها نذكر بعد ، نقول ((ربما)) ولا نقطع
بذلك لانه قد يكون بربريا ، كما عرف في الشرق
زرجون ، وربما كان هذا معربا من زركون الفارسي ،

بضم الفاء وهم من FORTUNA الاسبانية اي القروة والحظ ، وعرف في الشرق لهذا العهد ابراهيم بن زهرون الحراني قال القفطي اظنه جدا لابراهيم الكاتب ومن ادركوا القرن الرابع ابو عثمان سميدون الخولاني ، ادرك سحنون وكان من كبار تلاميذ ابنه ، وسمع منه ابوبكر بن سعدون وتوفي 325 وعلى ابن حمدون بن سماك الجذامي المعروف بابن الاندلسي ، وهو من كبار القواد الفاطميين ، تولى بناء الزاب ثم الامارة عليه بالقرن الرابع ، وكانت بالشرق حمدونة اخت عيسى بن موسى الحرى زوجة محمد بن صالح الصننى وفي الاندلس حمدونة بنت زريب زوجة الوزير هشام بن عبد العزيز .

وفي القرن الرابع كان القائدان ابنا على بن حمدون المذكور : جعفر ويحيا ممدوحى ابن هانىء الاندلسي بالامداح الطائفة الصيت ، كما مدح حفيده ابراهيم بن جعفر بقصائد طنانة .

وكان ببغداد محمد بن احمد بن اسماعيل بن عيسى ابن سمعون الزاهد الواعظ ، وهو الوارد في مقامات الحريري بالحادية والعشرين منها وهي الرازية كما في الوفيات ، كما كان يعاصره بالاندلس حامد ابن سمجون طبيب المنصور ابن ابي عامر ، وجعفر بن على ابن غلبون امر الزاب بعد والده باقرية ، وهو الذي اشرنا اليه ، واشتهرت من امداح ابن هانىء فيه فانيته المعروفة :

اليلتنا اذ ارسلت واردا وحفا
وبتنا نرى الجوزاء في اذنها شنفا

قتله المنصور ابن ابي عامر ، وقد انحاز برجاله الى الامويين ، وكان ممن استعان بهم المنصور المذكور على منافسيه فقال جزاء سنمار وكان يعاصره بحلب ، ثم مصر ، عبد المنعم بن عبيد الله ابن غلبون ، كان شاعرا مجيدا ومن المؤلفين في المقراءات ، كما كان ابنه ظاهر ابن غلبون من نزلاء مصر والعلماء بالمقراءات فيها ، وهو شيخ الدانى المشهور في المقراءات ، وعاصرهم كذلك عبد المحسن بن محمد ابن غلبون الصورى الشامى ، ترجم له ابن خلكان ، ووصفه بالشاعر المشهور ، واتى بنماذج من شعره ، منها نونية فائنة يستهلها بقوله :

اترى بشار ام بديسن
علقت محاسنها بعينى

وفي هذا القرن والذي قبله كان محدث الاندلس سعيد بن مجلون سكن بجاية ورحل الى المشرق توفي سنة 346 وهو ابن 93 وكسر .

وهذه الكاف تحول جيما في العربية كما في كناه التسي
صارت جناح بالضم .

وفي القرن الثالث وجدنا جدا لابي على القالى يدعى عينون ، فلا شك انه مشتق من العياذ بالله ، او حمل على ذلك كما نجد ابن خيمونة ذكر بداره من سامرا بمروج الذهب ، وابن عيشون الحراني القاضي ، والحمدونى الشاعر ، وغرون ربيعة الخارجى ، وغير هؤلاء بالمروج . وفيه نجد اعلاما اخرى بهذه الزنة ، ابراهيم بن اسماعيل ابن حمدون النديم الخصيصى بالمتوكل ، وحمدون بن اسماعيل القصار شيخ الملامية من المتصوفة ، كما في كتيب لاستاذنا « ابو الملا عفيفى » رحمه الله ، وهذا البحتري معاصرها بيعت بابيات لابن خرداذبة يقول فيها :

لم تدر ما بى وما قد كان بعدك من
نفاستى لك فى عبدون او حسدى

وكان للقائد صاعد بن مخلد النصراني اخ يدعى كذلك عبدون نكبه باخيه الموفق كما فى مروج الذهب

على حين عرف بالقروان المتصوف الاديب غلبون ابن الحسن بن غلبون ، وعرف فى الاندلس زيد ابن خلدون من رجال الثائر عمر بن حفصون ، بل ابناء خلدون عرفوا آنذاك بالاندلس رؤساء للعرب المخلصى ، عند الامويين ، فكان ظهور هذا الاسم بالعرب لا المولدين . وكان من هؤلاء الرؤساء كريب بن عثمان ابن خلدون احد كبيرى العرب ايام الامير عبد الله بن محمد ، كما فى المقتبس الذي يذكر آخرين .

وفي هذا القرن ايضا نجد محمد بن عمر بن خرون المعافري القروانى الاندلسي الامام فى المقراءات والذي اشتهرت به قراءة نافع باقرية . وفيه كان سمون بن حمزة الخواص الصوفى البصرى الشاعر المشهور بمقطوعات الرثيقة ، كما كان سعيد بن حكيمون تلميذ محمد بن سحنون ، ولعله بالفتح وهو منكور فى البيان لابن عذارى ، وكان سعدون السرباقى ايام محمد بن عبد الرحمن ، وقبله كان ايام الحكم الربصى حمدون بن فطمس ، ثم كان سعدون الفتى كبير خدمة ابنه عبد الرحمن ، وحمدون بن بسيل الاشهب ايام محمد ابنه ، ثم حمدون بن جبون وزير ابنه عبد الله ، وقبله كان فرجون العريف ، وعرف من ابناء فرجون عبد الملك بن احمد المتوفى سنة 387 وآخر بهذا الاسم سنة 517 وربما كان هؤلاء بفتح الراء ، لهذا لن نخرج على غيرهم من ابناء فرجون ، كما لن نذكر اسدون وسرتون ، وابناء فرتون لان هؤلاء

الحسائي ، وثانيهما عجوز تدعى سميدونة ، ذكرنا
برحلة التيجاني .

وفيه كان أبو علي ابن خلدون الامام المشهور
بالعلم والصلاح كما في شجرة التور والى بنته ينسب
أبو الطيب الكندي توفى هذا 430 .
وفيه كان محمد ابن عيشون الطليطي المتوفى
سنة 341 وله رحلة الى الشرق .

ومن رجال القرن الرابع كذلك عبد الخالق ابن
سبلون القرواني المتوفى سنة 391 ألف المقصد في
أربعين جزءا .

وقد فاتنا أن نذكر بدعة الحمدونية الاديبية
المغنية ، التي عاشت بين القرنين الثالث والرابع الى
منتصفه وهي ممن نذكروا بالاغاني .

وفي الاندلس كانت حفصة بنت حمدون الحجازية
وفي الرابع كان أيضا حمدون بن سمك وعبدون بن
الخرم وفحلون بن هنيل .

وكان في الامكان ان نضيف الى هؤلاء عبد العزيز
ابن محمد بن حيون قاضي القضاة بمصر والشام
وغيرهما عند الفاطميين وهو باطني . وقد عرفت مصر
اسم حيون في القرن الثاني فيه نجد حيون بن صالح
المصري ممن حمل الفقه والحديث عن مالك ، كما
بالمدارك ، وشهر بالفاطميين آخرون كالنعمان بن
محمد بن حيون القاضي عندهم كذلك ومن أركان
دعائهم ، وابنه علي ابن حيون القاضي كذلك بمصر ،
واخوه محمد ابن حيون القاضي بمصر ، ذكره الثعالبي
في اليتيمة زغيره وأورد له شعرا ، وهؤلاء أفاارقة من
القروان ، وكنا سنضرب عن ذكرهم صفحا لما تقدم
منا اولا وكان بقرطبة عبد الله ابن حجون الفقيه
المالكي توفى سنة 431 وقبله محمد بن ابراهيم بن
حيون الحجازي روى عنه ابن مسرة توفى 305 .

نتقل الى القرن الخامس فنجد فيه لابن الحاج
صاحب قرطبة ، ابناء ثلاثة ، حمدون وعزون وحسون،
قال فيهم ابن السيد البطلبوسى :

اخفيت ستمى حتى كاد يخفينى
وهبت في حب عزون فعزوني
ثم ارحموني برحمون فان ظلمت
نفسى الى ريق حسون فحسونى

كما كان لهذا العصر عمر بن احمد بن خلدون الاشبيلى
المهندس المتفلسف توفى سنة 449 كما في تاريخ
الحكام للقطبي . وفيه نجد محمد بن خزون بن عبدون

وفي القرن الرابع وجدنا أيضا من هؤلاء وأولئك
في الشرق ، الجرثون تروج ابنة عبيد الله بن
بختشيوغ وكان أبوها من اجلاء العمال وثابت بن
ابراهيم ابن زهرون الحراني الصابى العالم الطبيب
من مؤلفاته اصلاح مقالات من كتاب يوحنا بن سرافيون
وابا اسحاق ابراهيم بن هلال بن ابراهيم بن زهرون
بن حيون الصابى الكاتب المبدع والشاعر الملقب ،
فهو ابن عم ثابت بن ابراهيم ، ومحمد بن احمد بن
اسماعيل بن عيسى بن سمعون البغدادي الزاهد
الواعظ الذى اثار اليه الحريري في مقامه الرازية ،
كما بالوخيات وعبيد المنعم بن عبيد الله ابن غلبون
الشاعر المجيد والمؤلف في القراءات في حلب ومصر ،
وهو والد أبى طاهر ابن غلبون شيخ السداني في
القراءات ، ومن الذين كانوا من رجال العلم في الشرق
لذلك المعهد عبد المحسن بن محمد ابن غلبون السوري
الشمسى ، وصفه ابن خلكان بالشاعر المشهور ،
واتى بنماذج من شعره .

وكان بالقروان حسن بن خلدون البلوي قرا
على علي ابن محمد القابسى ، وقتل سنة 407 وكذلك
كان معاصرا له بالقروان ابوبكر محمد ابن سمعدون
التميمي توفى سنة 344 كما في عنوان الارب ، وفي
الاندلس كان العالم المقرئ محمد بن وسيم ابن
سعدون الطليطي الاعمى المتوفى سنة 352 كما فى
تاريخ علماء الاندلس لابن الفرضى وسعيد بن فرج
ابن فتحون النحوى القرطبي ، امتحن من المنصور بن
أبى عامر ومحدث الاندلس ، سعيد بن مجلون ، رحل
الى الشرق وسكن بجاية وتوفى سنة 346 وعمره ثلاث
وتسعون سنة ، فيعد في القرن الثالث أيضا ، وسعيد
ابن فتحون الفيلسوف المنبوز بالحمار ، وقد ورد ذكره
في رسالة محمد ابن حزم ، ومحمد بن احمد بن عبد
العزيز بن محمد بن سعدون ، روى عن ابن ابى زمنين
، المتوفى سنة 399 ، فالغالب انه ادرك القرن الخامس
ومحمد بن احمد ابن حمدون الخولاني القرطبي المتوفى
سنة 380 . وابو بكر ابن زيدون والد الشاعر ، ادرك
اوائل القرن الخامس وكان مولده سنة 304 .
وابوبكر حامد الطبيب ابن سمجون الف في الادوية
للمنصور ابن أبى عامر ، وعرف بأفريقية محمد بن
عبدون السوسى الشاعر توفى نحو 400 .
وكان بالاندلس أيضا عمر بن يونس ابن عيشون خدم
المستنصر وتوفى أيامه ومحمد بن احمد ابن سمعدون
روى عن محمد بن سحنون . وفي طرابلس كان
يهذا القرن زاهدان ، أحدهما رجل وهو ابن خلفون

الزنتى احد ملوك الطوائف بالاندلس ، وله اخ اسمه
عبدون ، قتله المعتضد العبادي 445 •

اما محمد فحصلت بينه وبين المعتضد موقعة في
جنوب البرتغال ، قاتل فيها قتالا مستميتا ، بعد ان
امر بقتل حرمه فقتل 448 •

وكان من وزراء المقنتر ابن هود وزير يدعى
تحقون ، فقتل فيه ، (ضج من تحقون بيت الذهب)
يريد به احد قصور المقنتر يدعى مجلس الذهب

ومعلوم ان ابن زيدون كان من رجال للمعتضد
وابنه المعتد ، توفي سنة 463 ثم كان ابنه ابن
زيدون الذي قتل ايام يوسف بن تاشفين • وابو عامر
ابن عيشون من رجال القلائد ، وابو العباس ابن
عيشون من شيوخ ابي الاصبع المتوفى سنة 559 وابن
غزلون صاحب الباجى وهو احمد بن على وفيه كان
عمر بن احمد بن خلدون ، مهندس طبيب انطلسى وقد
توفى سنة 449 وفي التعريف بابن خلدون ، انه عمر
ابن محمد عن ابن حزم ، وكانت بالاندلس فزهون
القلاعية الغرناطية ، وقد ذكرت كذلك ، وكما يقول
المخزومي :

على وجه زهون من الحسن مسحة
وتحت الثياب العار لو كان باديا

ثم نكرها بقوله :

الاتل لنزهونة مالها

تجز من التيه اذبالها

فكان هذا منه — كما يبدو — تصرفا منه ، والا
فقد عرفت بنزهون بلا تاء • وفيه محمد بن سعدون
القيروانى ، مات في اغمات سنة 485 من مؤلفاته
تأسى اهل الايمان بما طرا على مدينة القيروان وغيره
كما بالاعلام ، ونكر في شجرة النور ان وفاته كانت
سنة 486 واخذ عنه ابن اخيه عبد السلام ابن سعدون
المتوفى بتلمسان •

ويذكر في التاج عند سرد القروزيادى اسماء
مشتقة من سعد بينها سعدون ، ان ممن سموا به
جد ابي طاهر محمد بن الحسن بن محمد ابن سعدون
الموصلى ، وستاتى اخرا سلسلة من الاسماء العراقية
سميت بهذا الاسم محلى بال وبدونها ، وعبد الله بن
فرج ابن غزلون الطليطى توفى 487 وابو مسلم ابن
خلدون الانشيبلى الرياضى المتفلسف توفى باليمن ،
ومحمد بن احمد ابن سعدون سمع ابانر الهروري

بالشرق • وفي هذا القرن ايضا كان صاحب قلمة
القدموس يدعى ابن عمرون ، ومنه اشتري الاسماعيلية
هذا الحصن سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة •

وفيه كان الشاعر الارب عبد المجيد ابن عبدون اليابرى
من البرتغال صاحب المروية لبني الانطس الذين وزر
لهم ثم للمرابطين وقد ادرك القرن السادس ، بعد هذا
نتصل بالقرن السادس ، فنجد فيه مثل عثمان بن عبد
الرحيم ابن بشرون الازدى الصقلى الاديب من رجال
الخريدة ولعله بالكسر ، كما نكر بشجرة النور ، ونجد
بمصر سلامة بن رحمون الطبيب 56 وعبد الملك بن
عبد الله ابن بدرون الحضرمى الشلبى من البرتغال
حاليا وهو شارح قصيدة ابن عبدون ادرك القرن
السابع • ومحمد بن الحسن ابن حمدون البغدادي
عالم بالتواريخ صنف كتابه « التذكرة » في الادب
والتاريخ نادم المستنجد العباسى ، ثم غضب عليه ،
وحبس فتوفى في حبسه سنة 562 بعدما تولى ديوان
الزمام ولقبه الخليفة بكافى الكفاة ، وخلفه ابنه الحسن
الذي كان من الابداء ، مغرما بجمع الكتب والخطوط ،
وقد نولى المارستان العسدي وتوفى سنة 608
بالمداين •

ومن رجال الاندلس لهذا العهد ابو محمد عبدون
ابن صاحب الصلاة توفى سنة 578 •

وابن عيشون من شيوخ صفوان بن ادريس
المتوفى سنة 598 •

وحسنون الرهاوي الطبيب التصرانى ، ونكرناه
كما نكرنا سمون ، لان الصيغة لا تباهاها ، وتوفى
سنة 615 •

ومحمد بن سعيد بن زرقون لقب جرى على
بعض آباءه وتوفى سنة 586 •

واحمد بن ابي بكر بن محمد بن غلبون من رجال
هذا القرن •

واحمد بن عبد الله بن خميس ابن نصرون ، توفى
بالجزائر سنة 547 او ثمان واربعين

واحمد بن عبد العزيز ابن سعدون الينسى من
القرن السادس كذلك

واحمد بن محمد ابن عيشون ، توفى سنة 608
كما بالذيل والنكمة

وعبد الملك ابن جيفون او جيمون ، نزل فاس
وبها توفى سنة 580

الكاتب ، وزر ليوسف ابن هود ، ثم فارقه الى مراكش
حيث توفي بها سنة 639 .

ومحمد بن محمد بن سعيد ابن زرقون ، المتوفى
سنة 621 عن نيف وثمانين سنة ، فهو من رجال
القرن السادس كذلك

ومحمد بن اسماعيل ابن خلفون الأزدي الأوبى ،
سكن اشبيلية ، وهو من رجال الحديث والرواية ،
توفي سنة 636 كما بالكلمة .

وابا الحسن ابن زرقون ، شيخ الشريشى ،
ويعد كذلك من رجال القرن السادس

ومحمد بن علي بن محمد ابن عيشون المتوفى
سنة 664 .

وعيشون بن محمد بن عيشون المتوفى بتونس
سنة 644

ومن المغرب محمد ابن عبدون المكناسى المتوفى
سنة 658

ومن النساء سعدونة بنت عصام الحميري
القرطبي ، وسعدونة هذه هي ام السعد الشاعرة ،
توفيت سنة 640

ومن المشاركة ابن عمرو ، تلميذ يعيشي ،
جالسه ابن مالك بحلب ، كما جالس شيخه

وعبد الوهاب بن احمد ابن سحنون التنوخي
الدمشقي ، شيخ الاطباء بها ، وكان شاعرا خطيبا ،
توفي سنة 694

ويوسف بن يحيى السبتي ، المعروف بابن
سهمون ، قال القفطي وسهمون جده العاشر او التاسع
وهذا يهودي طبيب ، هاجر من فارس الى الشرق ،
واتصل بابن ميمون في مصر ، كما يبدو ، ثم استقر
بحلب ، وتوفي سنة 623 ، فليس مشرقى النشأة
والاصل

ومن الذين عرفوا بالشرق ، عبد العزيز ابن
سحنون ، برهان الدين القماري النهوي ، توفي بمصر
سنة 624

ننتقل الى القرن الثامن ، فنجد فيه :

عبد الله بن علي ابن سلمون الكناي الفرناطي
اجتاز الى المغرب ، فقرأ بسبته ، وتصوف بفاس ،
وتوفي مجاهدا بوقعة طريف سنة 741

وغلبون بن محمد بن عيشون بن فتحون بن
غلبون ، المتوفى سنة 613

وسعدون بن محمد بن فتوح روى عن ابن
مضاء ، وينسب اليه مسجد بمراكش ، كما يقول
ابن عبد الملك

والطبيب بن احمد بن علي ابن زرقون بن اطلع
توفي سنة 556 وعبد الله بن محمد ابن سعدون توفي
اواسط القرن السادس

وسعدون بن مسعود المرادي المتوفى سنة
520 ، فيعد بهذا من رجال القرن الخامس كذلك .

ولعله في هذا العهد كانت تسمونة بنت اسماعيل
اليهودي الشاعر الوشاح ، وكانت كذلك شاعرة
وشاحا ، فربما صنع ابوها من الموشحة قسما فتمت
هي الموشحة بقسم آخر ، ومنها نشأت لتسمية او
القب ، كما يبدو .

ومن شعراء الموحدين في هذا العصر ، ابن حزمون
وابن حربون ، نجد شعرهما في الموحدين بكتابي المن
بالامامة والبيان العرب ، ونجد كذلك من رجالات
الاندلس عبد الملك ابن عيشون المعافري له رحلة الى
الشرق واخذ عن السلفي ، وحل بالمهدية وتوفي 574

وعلى بن محمد ابن فرحون القيسي القرطبي
اقام بفاس مدة ، ثم شرق وجاور ، وله مؤلف في
الحساب يعد من اقدم ما لنا فيه توفي 601 .

واحمد بن عبد الودود بن سمجون ، ورايت في
بعض المطبوعات اخرا ، شكله بفتح الميم ، ولسنا
متأكدين من صحة ذلك .

وخلف ابن فحلون ، وهذا عاش كذلك في القرن
الخامس ، فيعد من رجال القرنين ، ومحمد بن عبدون
معاصره واحد الذين سمع منهم حمد بن سعيد ابن
زرقون الانصاري الشريشى الاشبيلي ، تولى قضاء
شلب ثم سبته وتوفي سنة 586 باشبيلية .

ومن المشاركة لهذا العهد عبد الله بن محمد ابن
ابي عمرو التميمي الموصلى الشافعي من علماء
بغداد ، وتولى قضاء دمشق وتنسب اليه مدرسة
بدمشق ، كما نكر باعلام الزركلي ، كانت وفاته
سنة 585 .

بعد هؤلاء نتصل بالقرن السابع ، فنجد فيه :

علي بن لب ابن شلبون المعافري البائسي الشاعر

وابن شقرون
من مواليد القرن التاسع ، واندركت العاشر ، كشقرون

وهي في الزنة « فعلون » فقد نكر ريسون في
المعاجم ، بمادة ريس ، وعرف في الشرق بلد بهذا
الاسم ، في الاردن ، كما انكر

وفي القرن العاشر نجد : على بن ريسون المذكورة
وتوفي في منتصف هذا القرن واحمد ابن الحسن ابن
عرضون المتوفى سنة 992 ونكر في النبوغ بعرضون
دون ابن وبتاريخ الوفاة سنة 993 .

ومحمد بن علي ابن ريسون المتوفى اوائل
الحادي عشر .

ومحمد بن الحسين بن عرضون ، العلامة الهمام
المشارك المتفنن ، كما هو في شجرة النور ، توفى
سنة 1012 هـ

ومحمد بن هبة الله الملقب بشقرون ، قاضي
مراكش ، كما في الاعلام لابن ابراهيم ، توفى سنة
983 .

بعد هؤلاء تنتقل الى القرن الحادي عشر ،
ف نجد فيه

الحسن محمد بن علي ابن ريسون
وعبد القادر ابن شقرون المكناسي ، الطيب
الاديب ، ادرك الثاني عشر ، واخذ عن شيوخ العهد
الاسماعيلي كالتستوتى والولالي

وفي القرن الثاني عشر ، نجد :

محمد بن محمد الصادق ابن ريسون وصاحبه
التهامي ابن رحمون .

وابا محمد عبد القادر ابن شقرون القاضي على
فاس ، أيام المولى محمد بن عبد الله

وعبد الله بن عبد الرحمن ابن حمدون ابن
الحاج ، وكلاهما ادرك الثالث عشر

وفي طرابلس نجد محمد بن خليل ابن غليون

وفي القرن الثالث عشر ، نجد :

من الشرق ، السعدون حمود بن ثامر المتوفى
سنة 1247

والسعدون عقيل بن محمد المتوفى السنة
المذكورة

المدني المولد والوفاة سنة 746 ، ومنهم ابو اسحاق
ابراهيم بن علي بن محمد ، ابن السابق ، وهو صاحب
الديباج المذهب ، توفي سنة 799 .

وربما كان من المشاركة ايضا ، محمد بن احمد
ابن سمعون ، ناصر الدين ، العالم الفلكي الميقاتي ،
والمؤلف فيهما والعمل بالاسطرلاب والربع (لعله يشمل
المجيب والمقنطر) وتوفى سنة 737

وكان بنو فرحون آنذاك كذلك ، منهم اخوه ابو اليعن
محمد برهان الدين المدني العمدة ، كما وصفه في
شجرة النور ، ومنهم علي بن محمد التونسي الاصل
المدني النشأة والوفاة سنة 769 ، فهو مشرقى اذن ،
عبد الله بن محمد ابن فرحون التونسي الاصل
ويحيى بن محمد ابن خلدون اخو عبد الرحمن ،
مات في سجنه قتيلا ، سنة 780 عن نيف وأريسين
سنة ، وكان كاتباً مؤرخاً جيداً . اما اخوه فقد ادرك
اوائل القرن التاسع ، كما هو معلوم ، وتوفى بمصر
سنة 808 ، وخلدون الذي ينسبان اليه ، هو الجد
التاسع لهما ، فابوها محمد بن محمد بن محمد بن
الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن ابراهيم بن عبد
الرحمن بن خلدون ، كما نكر بالتعريف .

وفي هذا القرن كان ابن فرحون تلميذ ابن الخطيب،
وكان ممن تغير عليه من التلاميذ المعاقين ، كابن زمرك،
وقد نكر ابن الخطيب في كتابه المحبة ، ابن خلصون ،
كاحد المؤلفين في المحبة ، ولا ندري اهو من هذا القرن
او سابق عليه

ومن هذا القرن ابو الحسن ابن فرحون ، وابو
محمد ابن سلمون احد الذين روى عنهم ابن الخطيب ،
وربما كان السابق نكره بعبد الله .

وفي القرن التاسع نجد :

ابا عبد الله شقرون بن محمد بن احمد بن ابي
جمعة المفاوي الاستاذ المتكلم ، من شيوخه ابن
غازي ، توفي سنة 929

وكان من رجال الدولة ابن شقرون ، صاحب
الشرطة بقصبة فاس القديم ، على عهد ابي عبد الله
البرتغالي الوطاسي

ومن الاندلسيين الفقيه الصالح ابن حرشون
معاصر ابن النثران الاندلسي ، ولهذا شعر يخاطب
به ابن حرشون .

ولعل « ريسون » والدة علي بن عيسى ، كانت

ابن رحمون	ابن شقرون	حمدون
برهون	كحلون	ززهون
ابن ريسون	ز مطرون	صيدون
دعنون	عطمون	

وهؤلاء جميعا من تطوان ، وفيها كثير من عائلاتنا بهذه الصيغة لم ندرهم أو لم نعرفهم ، والغالب أن برهون ليس من هذا الباب وهو عندنا بفتح الباء بينما هو في الشرق بضمها ، وقد عرف من علمائه الحسن بن ابراهيم بن برهون ، ونص ابن حلكان على ضم بائه .

وقد لاحظنا أننا ذكرنا ، أحيانا الاسم ، ثم من انتسب اليه بالابنية ، لان المراد رواج الصيغة نسي الاحقاب المختلفة

كما أننا ذكرنا ابن سمعون الطبيب اليهودي ، وربما كان الاسم محرفا عن (شمعون) العبري ، وهذا لا يعنينا بقدر ما يعني كون فعلون عرفت في الشرق والغرب ، منذ فجر الاسلام الى يومنا هذا ، وليس ذلك من خلقة الاسبانية ولا زيادة الواو للتكبير عربيا عن العربية المرءاء ، على ندره ما ورد فيها ، حتى عد المتحلي بها شبيها بالاعجمي ، كما تقدم سوى هؤلاء فقد عرف الشرق والغرب حيون كثيرا ، وعرفت الاندلس دحون ، كما عرفت وعرف المغرب دقون وفكون ، لكننا لم نأت بذلك كله لما التزمناه ، والا لكانت عشرات الأشخاص تأتي في هذا الباب ، مما زيدت الواو والنون فيه ، كما عرف الاندلس آخرين بهذه الزيادة وهم في اسمائهم والقابهم على حروف تزيد على ما في الصيغة السابقة .

والسعدون بندور بن ناصر المتوفى سنة 1280
والسعدون ناصر بن راشد المتوفى سنة 1301

والسعدون فهد بن علي المتوفى سنة 1314
نكر هؤلاء جميعا في اعلام التركلي محلون بالاداة ،
وفي المغرب ، كان من أبناء شقرون ، أبو العباس احمد
المراكشي من أبناء الحسن الاول .

وأبو العباس احمد الحاج الفاسي ، أحد البعوثين
الى اسبانيا للدراسة من قبله

وأبو العباس احمد امين الصائر له

وأبو الفيض حمدون بن عبد الرحمن ابن حمدون ،
المتوفى سنة 1232 . ومولده سنة 1174 فيعد بهذا من
القرن 12 كذلك

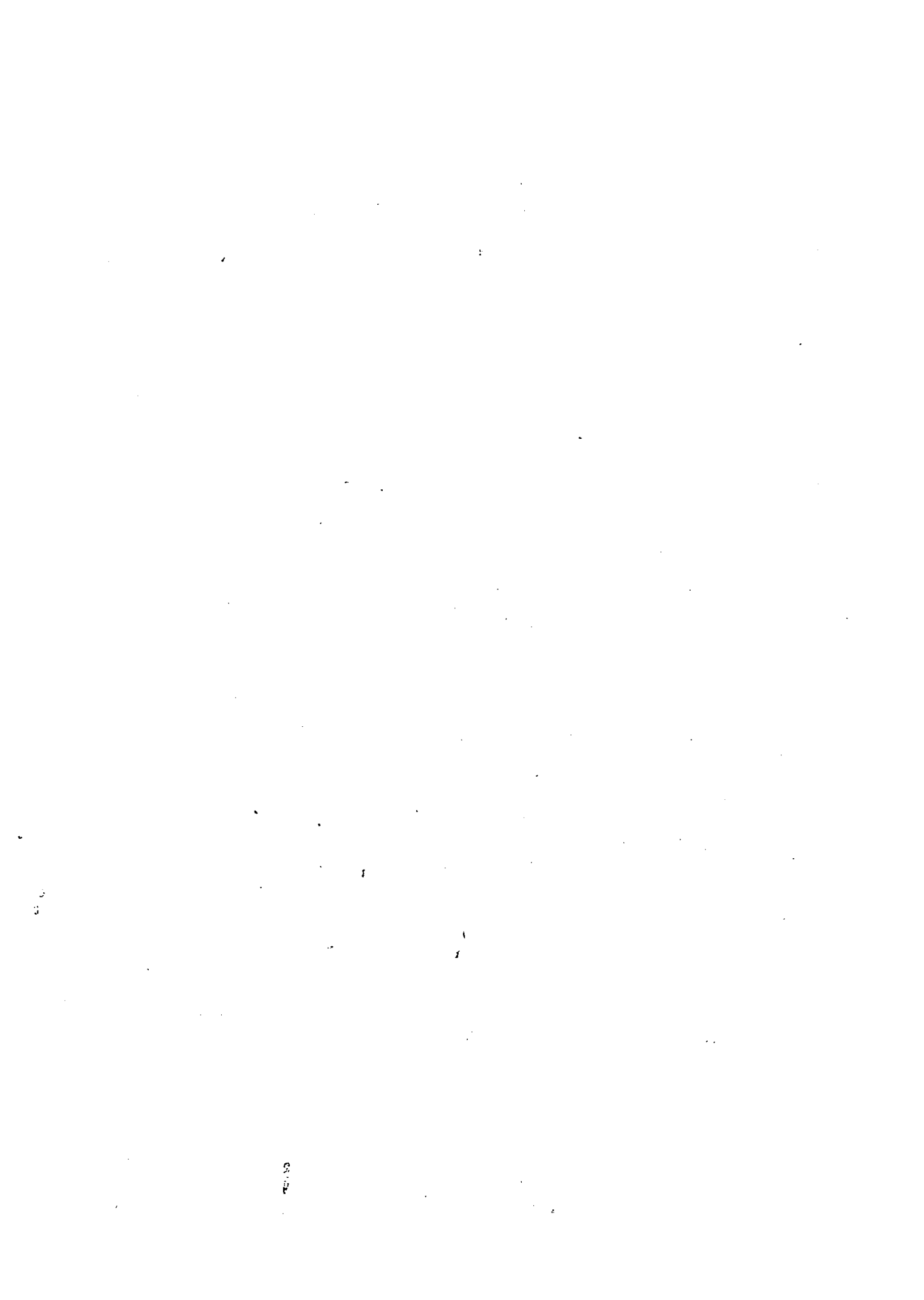
وأبو عبد الله محمد الطالب ابن حمدون ابن
الحاج المتوفى سنة 1273

وأخوه أبو عبد الله محمد ابن حمدون الفقيه
المحدث المتوفى سنة 1274

وأبو عبد الله محمد المهدي ابن الشيخ حمدون
المتوفى سنة 1290 وكان يعاصره علي بن محمد جلون
المتوفى بعده بستين ثم ابنه محمد المتوفى سنة 1298

وفي الشرق كان سعدون باثنا ابن منصور بن
راشد السعدون المتوفى سنة 1330 فهو معدود في
القرن الرابع عشر الحالي ، وفيه من المغاربة كثيرون
يحملون هذه الصيغة ، أدركنا منهم وما زال بعضهم
على قيد الحياة :

- 73 2 - ذكرى سيديويه
- 75 العربية قبل سيويه وبعده
 الاستاذ ابراهيم العريض
- 79 سيويه والمدرسة الاندلسية
 الاستاذ علال الفاسي
- 86 كتاب سيويه في المغرب والاندلس
 الاستاذ محمد حجي
- 81 أثر سيويه في النحو العبرى
 الدكتور حسن ظاذا



العربية قبل سيبويه وبعده

للاستاذ ابراهيم العريضي

ما وقع معه أصحاب المدارس النحوية في تناقض مع أنفسهم ، ومع مع القول :

تندر بهؤلاء . اضعف من حجة نحوي !

ان غرضي من طرح الموضوع على هذا الشكل هو ان الفت نظركم الى ضرورة اعادة النظر من جديد في هيكل وبناء هذه اللغة الكريمة شكلا وموضوعا ، على غرار ماتم عند سوانامن تقص في مثل هذه الدراسات حول لغاتهم منذ استهل هذا القرن ، وهاتد أشرف الان على نهايته - لان نظل نجتز كالبيفاء ماتاله القائلون مناقبل منات السنين دون وضعه على المحك . فاللغة عند العلماء المعاصرين هؤلاء ، بخلاف ما يريده لها نحائنا التدهاء ، دائبة في التطور غير جامدة ، وما ذلك الا لان الممول في هذه الدراسات اللغوية الحديثة التي يتبنونها هو على اللغة الحية التي يتحاور بها الناس تلقائيا في شتى امورهم ، لا تلك التي تستبطنها الكتب محنطة كالمومياء . فما يستخلص للغة من قواعد لايجوز بحال ان تكون كبولا بينعها التنفيس والحياة ، كما ظل الحال عندنا الى امس القريب ، بالنسبة الى الفصحى ، ولا ان تكون تاصرة عن احوالها الدارجة .

والآن فلننيسط في الموضوع

اذا عدنا بالذاكرة الى الوراء ابان الفتوحات الاسلامية الاولى الفينا كثيرا من الشعوب والامم تضوى تحت لواء الاسلام وتسمى جاهدة لتعلم احكام هذا الدين الجديد وتلاوة آيات محكم كتابه العزيز وهو القرآن الكريم ، لذا كان لابد لهم من تعلم اللغة العربية .

اسمحوا لي ان اترد - في مستهل كلمتي هذه - بكل تواضع ، بما هو مندى لي حكم البداة بالنسبة الى اللغة العربية ، قبل ان اتيسط في الموضوع شرحا وتعليقا :

اولا - ان اللغة العربية التي ظلت تتدارسها الشعوب الاسلامية - قراءة وكتابة - تفتها في الدين وتكها في الادب ، منذ القرن الثاني للهجرة ، انها هي لغة حضارية مشنبة مهذبة اخذت بها هذه الشعوب الداخلة في الاسلام «من غير العرب طبعا» من طريق الكتابة والدرس ، وهي تختلف في معلماتها النفسية وملابساتها الاجتماعية ودلالاتها القوية عن لغة البادية التي كان العرب في اوطانهم - باختلاف لهجاتهم - يتحاورون بها على سليقتهم ، ولا زالوا يفعلون ذلك تلقائيا الى اليوم في اتحاء عالنا العربي . وهي التي حاول النحاة - من غير طائل - تلمس شواهدا في الشعر الجاهلي ، واخطفوا في امرها في شعر الفرزدق في صدر الاسلام ، ثم تنكروا لها كليا فيما راوا من آثارها في شعر المتنبي في القرن الرابع الهجري . فاساؤوا بذلك - الى اللغة والتي انفسهم - لولا العلامة ابن جنس الذي تدارك الموضوع ، وكان « عالما » بمعنى الكلمة فوضع لهم حدا .

ثانيا - ان قواعد هذه اللغة التي يتدارسها الطلاب في مدارسهم كما وضعها - ولا اتول استنبطها - النحاة ، لتيسير درس اللغة حسب منطق أرسطو ، هي أبعد ما تكون عن الاحاطة بالشواهد الشعرية والآيات القرآنية التي نتحو نحوها يختلف منها في كثير من الاحيان

* من الكلمات التي القيت في مهرجان سيبويه بشيراز 1974 .

وهذا سبب ليسنى . . يضاف اليه سبب
الاجتماعى يتجلى فى الرغبة السامرة لدى تلك
الشعوب والامم فى السعى نحو التناهم فى شؤون
حياتها اليويشية مع السادة الجدد .

ومن الطبيعى ان كل متعلم للغة لابد وان
يخطئ فى ادائها . . وهذا ما يسمى « بالحن »

واللحن انواع : لحن صوتى فى طريقة نطق
الحروف والكلمات ، ولحن اسلوبى فى طريقة نظام
الجملة وحركات اواخر الكلمات فيها .

وهناك لحن آخر نشأ على يد الذين قرأوا
القرآن ولم يكن فى اول امره منقطا ولا مشكلا . .
ولهذا وقع البمض فى اخطاء فاحشة فقد قرئت
الآية « ان الله برىء من المشركين ورسوله »
بكسر اللام فى رسوله . . وهذا خطأ شنيع . . وكان
الصواب ان تفتح اللام على العطف او ترفع على
الابتداء . . فقام ابو الاسود الدؤلى بهمة التنقيط
والتشكيل ، وكان التشكيل عبارة عن نقطة بين
يدى الحرف او فوق الحرف او تحته بلون مغاير
لقون الحروف المكتوبة وما استحدث لها من نقاط
تمييزا لبعضها عن بعض .

ثم جاء الخليل بن احمد وقام بمهمة التشكيل
بالطريقة المألوفة حاليا .

وهكذا قضى على نوع من انواع اللحن . .
وبقيت الاخطاء الصوتية واللغوية والاسلوبية . ومن
الملاحظ ان هذه الاخطاء كانت معظمها من الشعوب
والامم غير العربية ، لان العرب كانوا ينطقون
لفظهم بالسليقة ، كمهارة من المهارات البشرية . .
ينشأ عليها ناشئ الفتيان منهم ، كما هو الحال
عند سائر الشعوب فى تواجدها الى اليوم .

وليس معنى هذا ان العرب كادوا لا يخطئون
— على مستوى الافراد — احيانا ، لقد كانوا
مثل غيرهم يخطئون . . الا انها اخطاء قليلة لا
تفرض من شأن تأملها ، هذا اذا اخطا فى لغة
قبيلته . . لكن لغة قبيلته لا تعد خاطئة اذا قيست
انى لغة القبائل الاخرى . . فهذه ليست اخطاء ،
انما هى لغة العرب ، تنوعت فى صور ادائها ونحو
اسلوبها .

وهذا يختلف اختلافا كبيرا عن تلك الاخطاء
التي وقعت فيها تلك الامم والشعوب غير العربية .

ان الفرق بين ما يسنيه النحاة فى كتبهم (لما
ينكرونه فى منطوق العرب) « اخطاء » وبين تلك
التي تجرى على لسان غير العربى هو ان الاولى
يمكن تاويلها من خلال ادراكنا لاسرار اللفظة
العربية وتنوع لهجاتها ومصور ادائها ومناحى
اسلوبها ، كما سوف امرض عليكم من شواهدا
بعد ، اما الثانية فلا تبرير لها من خلال واقفنا
اللغوى الذى هو الاساس والفيصل فى المقارنة
والحكم .

وكان لابد من جمع شواهد اللفظة العربية
نروض القواعد الضابطة لها . . فقام الرواة
واللغويون بعملية الجمع ، تارة على اساس
الروائع اللغوى كما نجد فى كثير من مسائل
التصريف ، وطورا على اساس احتمالاته كما
نجد فى الافتراضات النحوية التي لا اساس لها
من الروائع ، وشواهد كل ذلك موجودة فى كتاب
سيبويه ، ونادرا على اساس الاستيعاب كما فعل
الخليل فى كتاب « العين » ، حيث استخراج
الكلمات كلها من اصلها الثلاثى ثم استقط المجل
منها .

واحسن العلماء بالفرق بين بعض اساليب
اللفظة المنطوقة وبين قولها مكتوبة ، فبعض الرموز
اللغوية قاصرة عن مستوى الاداء الصوتى ،
ولان الكتابة العربية فى احسن احوالها ليست الا
اخراليفة ولا يمكن ان تعطى صورة معبرة عن
منطوق الناس ، كما نجد بدقة اكثر عند سوانا .
ففى اللفظة السنسكريتية مثلا لنطق الالف بكل
امالاتا اكثر من ثمانية اشكال معبرة ، بينما لا
يتعدى الالف عندنا شكله الواحد رغم كثرة
الامالات ، كما هو واضح فى بعض القراءات
القرآنية او لهجات القبائل . وهذا ادى بدوره الى
نشأة كثير من الباحث الصوتية ، نجد بعضها
واردا فى كتاب سيبويه ، مما ادى عند بعضهم الى
اشكالات كثيرة .

وكان لابد من تفسير اللفظة للاعاجم رغم كل هذه
الاشكالات . فتمعد سيبويه الى استنباط قواعد
نحوه وصرفه على اساس الاغلبية دون ان يحددها
(وقد اتكرت عليه ذلك مدرسة الكوفة) ، وطالب
بالتقاس عليها ، واعتبر كل اسلوب عربى خارج
عليها شاذا او لثية يجب اسقاطها من اللفظة العربية
كتابا وحديثا . وكانما كان يريد ان يضع قواعد

منها ، وقال بعدم القياس عليها لانها تخالف القاعدة المطردة . ولو كان القول شاذاً قريباً لانقرض منذ زمن طويل ، مع أن من الملاحظ أنه مستعمل الى حد كبير في كل مكان من الوطن العربي . وهذا يعني ببساطة أنه أسلوب عربي خالص فيه سر لم يهتد اليه النحاة الاولون .

فنى قولنا « اكلتى البراغيث » — كما ارى — ينصب الاهتمام على البراغيث الفاعلة ، ويكون تمام القول « فاتص عليها ترحنى » . اما في قولنا « اكلونى البراغيث » فتمام ينصب الاهتمام على حدث الاكل ذاته دون البراغيث ، ويكون تمام القول هنا « فانتقذنى منها » . فهذا الاسلوب الثانى أشبه ما يكون بالبناء للمجهول على غرار قولهم في الانكليزية :

I have been Pestered by mosquittoes

وله شواهد من القرآن قوله تعالى : فأسروا النجوى الذين ظلموا .

ومن الحديث قول النبى صلى الله عليه وسلم : يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار .

ومن الشعر قول ليلى العنينة (زوجة البراق):

فللبنى ، تيدونى ، ضربوا
لمس العفة منى بالعصا

ولم يسء ، الى لفة الضاد شيء مثل «نظرية العايل» ، التى جاء بها نحائنا لتعليل الامور . وكان باب النزاع وباب الاختصاص وباب الاشتغال مهزلة المهازل لدى تطبيقها على لسفة الناس . ووصل الحال ببعضهم الى تلمس الاخطاء — بمقتضاها — حتى فى شعر المتنبى ، وذلك بعد قرنين من وضع قواعدهم ، فى مثل قوله :

انا الذى نظر الاعمى الى ابنى
واسمعت كلمتى من به صمم

وقوله :

وانى لمن قوم . . . كان نفوسنا
بها انف أن تسكن اللحم والعظما

وقوله :

لولا مفارقة الاحباب مسا وجدت
لها المفاسا الى ارواحنا مسبلا

تعليمية ميسرة تد تصلح لغير العرب ، كما نعمل نحن حين ندرس قواعد لغة اجنبية فلا ننتهج منها غالباً — بادية ذى بدء — الا كل ما هو خاضع للقياس ، او هكذا تتعلم الامهات مع اطفالهن الصغار . ولكن هذا ليس بوارد عند ما يشب الطفل عن الطوق ، ليبلغ فى لغته مثل نوبه ويحسنها احسانهم فيسا يتقلب فيه من ظروف حياته الخاصة . وهنا يكمن فى نظر الكوفيين خطأ سيويوه حين اراد أن يخضع لغة العرب المنطوقة ويلوى عنقها وفق قواعد ذات الهدف التعليمى .

فالكسائى احد المتخرجين من مدرسة الذليل — مثل سيويوه — واحد القراء السبعة المشهورين لم يجبه هذا التجنى على اللغة . فقد نظر فوجد بعض الآيات القرآنية لا تخضع لاتبية النحاة ومنطقهم المتشدد ، وكان يتسلح بوازع دينى منين أبى عليه أن يعتبر تلك الاساليب شاذة ولا يجوز القياس عليها ، بل اعتبرها صحيحة كصحة الاساليب القياسية التى ارتضاها النحاة .

وقد مضى على نهجه الكوفيون من بعده حرصاً على سلامة اللغة .

وتحضرنى هنا المسألة الزنبورية التى اختلف عليها العالمان ، فى قولهم : كنت اظن الزنبور أشد لسمة من النحلة فاذا هو هو او فاذا هو اياها . فقد قال سيويوه بالقول الاول ، واجاز الكسائى القول الثانى ، ومضى على خلافها النحاة الى اليوم . وهذه العبارة لا تقوم لذاتها فاتها هى عينة لامثالها ، وما اجاز الوجهين — كما امتد — الكسائى الا لان العرب تتول بها معا . . . والى اليوم . . . ولكن فى ظرفين مختلفين . وبيان ذلك عندئذ أنك اذا كنت تنقل هذه التجربة نقلاً فريباً من سواك فما لك معدى عن القول « فاذا هو هو » ، اما اذا كنت تتحدث عن التجربة وقد عاينتها بنفسك فعندها لا يصح الا أن تقول « فاذا هو اياها » دلالة على معاناتك الحاضرة لها .

ان ما اعتبره سيويوه ومن اتبعه من مدرسة البصرة أمثلة شاذة أو لغات أو لغيات لا يقاس عايبها بكتنا أن نستشف منها أبعاداً معنوية وذوقية خفيت على الاعاجم ومن استجمع من العرب . وما أكثر هذه الشواهد الشاذة عندهم .

فقد عد سيويوه لغة « اكلونى البراغيث »

أن تكون غاية في حد ذاتها ، ولو أنصف النحاة
لاعتبروها وسيلة لفهم أسرار اللغة ، حتى في كل ما
جاء على وجهين من باب الجواز ، كما في قول أم
عقيل وهي ترتص طفلها :

انت تكون ماجد نبيل إذا تهب شمال بليسيل
لا مجرد الاكتفاء بالقول « ان تكون) هنا زائدة »
فهي قد خصته بالصفتين في حاضره وفي مستقبله
خلفا لابيه .

وان اللغة المنطوية تلقائيا هي الاصل في
تنهم اللغة واستنباط قواعدها ، لانها تظل حية
ابدا ، كما توصل الى تقريره العلماء المحدثون في
دراساتهم اللغوية .

واخيرا انا اؤمن باختلاف اللغات عند العرب ،
واعتبرها كلها حجة ، كما ارى ان ما جرى على
نسق كلام العرب فهو من كلام العرب . . تياسا او
شذوذا . . ولا يجوز أن يتحكم المنطق الذي مجاله
الفلسفة في اللغة التي ميدانها الحياة .

والسلام عليكم

البحرين ، 1974/7/24 .

ابراهيم الصريفى

ولماتهم أن يدركوا أنه كان في الاول يجيب على
السؤال « من أنت ؟ » . . لا على السؤال « من
الذى نطز الامسى الى اديه ؟ » ، وفي الثانى كان
يمتسر الحكم ساريا عليه كسرياته على تومه ،
لا ساريا عليهم وحدهم دونه ، وفي الثالث لم يكن
تخطئتهم له الا لجرد تطبيق ما وضعوا من نظرية
في الضمير المائد الذى لا يتقدم على اسمه ،
وان خالفهم الواقع لا في لغة العرب وحدهم بل
في جميع لغات الناس .

وخلصة القول ان بين اللغات الاتسانية
نوعا من وشائج القرى وصلات النسب ، وعلى
المهتم بلغة الضاد أن يسلح نفسه بثقافة أجنبية
مستفيدة حتى في نظرتة الى لغته القومية وتلهم
أسرارها .

وان هذه القواعد التي وضمها سيويه لم
يقصد بها أن يجنب الأعراب الخطأ في لغتهم وانما
كان الغرض منها أن يجنب الاماجم اللحن ، وفي
سبيل تيسرها وقع في تناقض كثير ، لانه اراد أن
يقومها بالنطق .

وان قواعد اللغة — عند وضمها — لا يمكن

سيبويه والمدرسة الاندلسية المغربية في النحو

لمرحوم الاستاذ : علال الفاسي

وكانت المحافظة شمار البصرة ، لذلك كانوا يقفون عند طلب الشواهد الكثيرة ، لا يكفيهم الواحد والاثنان منها ، فاذا اجتمع لديهم منها ما يطمنون اليه أسسوا عليه قواعدهم واعتبروا ما عداه شاذا ، بينما كان الكوفيون يكتبون بالسماع الصحيح ، ويستدلون بأحدث المروي عن الرسول (صلم) وعندهم الشاذ قليل .

وامتاز علماء الكوفة باتهم اول من اشتغل بقواعد الصرف ، ومن اول علمائهم في هذا الشأن معاد الهراء وابو جعفر الرؤاسي المتوفى عام 190 هـ استاذ الكسائي ينسب اليه كتاب الفيصل الذي يقال انه اول ما ألف في النحو على الطريقة الكوفية .

اما المغاربة وفي مقدمتهم الاندلسيون فقد عرفوا نحو الكوفة قبل ان يعرفوا نحو البصرة ووصل اليهم كتاب الكسائي قبل ان يصل كتاب سيبويه ، وينكر صاحب البغية ان جودي بن عثمان الطليطلي انتقل الى المشرق فاجتمع بالكسائي والقراء ، وكان اول من ادخل كتاب الكسائي الى الاندلس ، وألف كتابا في النحو ، ومات سنة ثمان وتسعين ومائة ، وكان مولى لآل يزيد بن طلحة العبسين ، وقام الفضل مفرج ابن مالك بشرح كتاب الكسائي ومات بعد المائتين . اما كتاب سيبويه فاقدم من حفظه من المغاربة القرويين ابو عبد الله الملقب بالتمجة واسمه حمدون ابن اسماعيل ومات بعد المائتين .

ومع الميل الذي كان للمغاربة عموما للمذهب الكوفي ، فقد وقع منهم اقبال كبير على دراسة كتاب سيبويه والعناية به ، تاييدا ونقدا ، وقبولا وردا ، ولعلل الاسباب التي كانت تدعو المغاربة على الخصوص للميل لكل ما هو كوفي ، وحبهم لآل البيت ، العباسيين اولا ، ثم العلويين بعد ان ثار هؤلاء على العباسيين ، يدل على ذلك ان المغرب في اول امره كان يعيل الى فقه ابي حنيفة ، حتى تاثروا بدعوة الحسين صاحب فخر ، وتأييد مالك لدعوة محمد النفس الزكية حين قام

تحتفل شيراز ومعها العالم العربي والاسلامي بفكرى رجل عظيم كان له الدور الخطير في خدمة لغة القرآن ورواياته ، وفي تقعيد قواعد النحو وفنونه ، الا وهو امام البصريين وحجة التحيين ابو محمد ابن عثمان المعروف بسيبويه والمولود باحدى قرى شيراز المسماة بالبيضاء ، فارسي الاصل ، بصري المقام ، عربي الثقافة ، وقد كان سيبويه درس الفقه والحديث والتفسير في اول حياته الدراسية ، ثم لما رأى اللحن يفتشوا في الناس آله ذلك فانصرف الى طلب النحو وجد في درسه وتعلمه على ائمة عصره وفي مقدمتهم الخليل بن احمد وابو الخطاب الاخفش ، وما زال يطلب هذا العلم حتى اصبح فيه اماما .

واذا كان مخفقو المؤرخين للعلوم وتقسيمها اتفقوا على ان اول من وضع النحو هو الامام علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ، ثم تلميذه ومريده ابي الاسود الدؤلي الذي اخذ عنه الاصول ووضع هو من المناهج والقواعد الشيء الكثير ، فان عالين من اعلام العربية يعتبران الواضعين للمعلم نفسه .

وهما علي بن حمزة الملقب بالكسائي الذي نشأ بالكوفة ، واصبح احد ائمة القراء وصاحب قراءة خاصة به ، فهو من القراء السبعة الذين تولى القرآن بحروفهم وهو مؤسس المذهب الكوفي في النحو ، وكان هو ومحمد بن الحسن صاحب ابي حنيفة حظين عند المهدي ثم الرشيد من بعده .

والثاني هو سيبويه العظيم صاحب « الكتاب » الشهير المعروف باسمه في النحو ومؤسس المذهب البصري الذي طبق الاقاي .

وبهذين الرجلين تكونت مدرستان عظيمتان في النحو جرى بينهما تنافس كبير وخلاف عظيم في طرق البحث ومناهج الاستدلال ، وحين المعروف ان سياسة الدولة العباسية كانت قائمة على تفضيل اهل الكوفة وتقديمهم على اهل البصرة لان هوى هؤلاء كان امويا بينما كان هوى الاولين عباسيا .

اتصالهم بالمذهب البصري ودراسة كتاب سيوييه ومناقشة الآراء جميعها حتى تاتي لهم ما يمكن ان يسمى مذهباً رابعاً اذا اعتبرنا الاختيارات البغدائية مذهباً ثالثاً . وانك لو اجدت في كتب النحو اضافات احدثها علماء الاندلس والمغرب مثل اسماء ابن خروف المتوفى سنة 609 هو وابن عصفور والشلوين وابن الضائع المتوفى سنة 680 وان كان الاستاذ سعيد الافغاني لا يرى في هذه الاضافات ما يميزها عن غيرها من التخريجات المختلفة المعروضة في القضية الواحدة، او بعبارة اخرى ليس لآراء الاندلسيين هؤلاء سمات مدرسة خاصة (2) .

ويناقش بعد ذلك فيما قاله ابو حيان في شرح النسهيل من ان ابن خروف وابن مالك شرعا الاستشهاد في النحو بالحديث ، مع ان ذلك كان معروفاً عند جماعة في القديم والحديث مستنداً لذلك ، يقول السهلي : « لا نعلم احداً من علماء العربية خالف في هذه المسألة (الاستدلال بالحديث في النحو) الا ما ابداه الشيخ ابو حيان في شرح النسهيل ، وابو الحسن الصائغ في شرح الجمل وتابعهما على ذلك جلال السيوطي » (3)

والواقع ان الذين يتحدثون عن المدرسة الاندلسية المغربية لا يرمون الى ادعاء وجودها في هذه الفترة ، اي قبل ابن حزم وانتشار المذهب الظاهري في الاندلس والمغرب ، فقد سبق ان بينا ان هذه الفترة الاولى كانت فترة الميل الى المذهب الكوفي وتفضيله على المذهب البصري ، ولا شك ان الكوفيين كانوا يقدمون العمل بالحديث على القياس على عكس البصريين ، ومن الملاحظ في عمل سيوييه انه لا يستدل بالحديث ولا يدلي به كحجة لتفسير اية مفردة لغوية او تطبيق قاعدة نحوية ، وان كانت مادة الكتاب مليئة بايات الكتاب الكريم الى جانب الامثال والجهل التي تتداولها الناس ، وليس معنى هذا انه لا يوجد من البصريين من يستدل بالحديث ، فالمدرستان الكوفية والبصرية التقيا عند كثير من النحويين في عدة مسائل ، ولولا ذلك لما صح ان يقال او يظن ان هنالك طريقة ثالثة هي طريقة البغداديين مثلاً .

فالتورة الظاهرية على المذهب المالكي في الفقه

جالدعوة للخلافة العلوية ، فاتحاز للمذهب المالكي الذي يزيد على ما سبق بميزته بالحنفية والحديث وكون امامه عالم المدينة ، اما فيما يرجع للنحو فقد حافظ على ميله للمذهب الكوفي ، لان الكوفة امتهد بها النحو منذ تاسيس على بن ابي طالب كرم الله وجهه له ، ناهيك ان ابا حيان الذي لم يكن يدرس كتاب النحو الا في كتاب التسهيل او في كتاب سيوييه (1) . وهو بربري الاصل من نفزة ، وكان شديد المحبة لعلي بن ابي طالب ، وانتقل من المذهب الشافعي الى مذهب الظاهرية ، وكان يقول محال ان يرجع عن المذهب الظاهري من ذاقه ، والمذهب الظاهري ينكر القياس في الفقه فاحرى به ان ينكره في النحو .

واذا كان الكسائي قرا كتاب سيوييه على الاخفش سرا ، ومات الفراء وكتاب سيوييه تحت وسادته ، مع انها كانا يخالفان مذهب سيوييه حتى في القاب الاعراب وتسمية الحروف ، فلا غرابة ان نرى المغاربة ايضا من الاوائل الذين عرغوا كتاب الاخفش ومؤلف الكسائي ثم كتاب سيوييه الى امثال ابن مالك وابن اجرم الفاسي صاحب المقدمة المشهورة ، يعتقدون اعتناء كبيراً بكتاب سيوييه بينما يحافظون على مذهب الكوفة ثم يحاولون خلق مدرسة اندلسية مغربية ذات اضافات لما ذهب اليه البصريون والكوفيون وما اختلف معهما فيه البغداديون .

فابن اجرم محمد بن داود الصنهاجي صاحب المقدمة المشهورة بالاجرومية ، امام النحو واستاذه في عصره ، والذي وقع الاقبال على دراسة مقدمته الصغيرة هذه حتى كانت اول ما يدرس في المعاهد الدينية في المشرق والمغرب قبل النهضة الجديدة .

كان ابن اجرم هذا من الذين يدرسون كتاب سيوييه وهو مع ذلك كوفي متمسك بمذهبه ، فقد عبر بالخفض كذا يعبر الكوفيون لا بالجر ، وقال الامر مجزوم وهو ظاهر في انه معرب وذكر كيفما في الجوازم والجزم بها راي الكوفيين وانكرها البصريون ، وكان مولده عام اثنين وسبعين وستمائة ووفاته سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة ، ودفن داخل باب الجديد بمدينة فاس .

استمر المغاربة في اختياراتهم الكوفية مع

(1) البغية ص 121 - (2) سعيد الافغاني الدراسات الاسلامية في مدريد ص 78 ع 807 (3) دراسات في العربية وتاريخها للشيخ مجيد الخضر بن الحسين ، ص 168 ط . دمشق .

زمن ابن حزم ، ولا سيما زمن الموحدين ، صاحبها فيما يظهر ثورة ظاهرية على المدارس التحوية ، لا أقول المشرقية كما يقول الاستاذ شوقي ضيف في مقدمة نشره لكتاب ابن مضاء في الرد على النحويين ، ولكن على جميع الذين جنحوا الى القياس والى التعليلات وما يضمه النحو من الحشويات التي سبق ان قال عنها الخليل احمد حسبا نقله الجاحظ في كتابه الحيوان (لا يصل أحد من علم النحو الى ما يحتاج اليه حتى يتعلم ما لا يحتاج اليه) (1) .

وقد درس ابن مضاء كما سيأتى كتاب سيويه وشرح السرفى عليه ، ولكن الدكتور شوقي ضيف يلاحظ بحق أن ابن مضاء لم يعن بالنحو الكوفى ، ويعلم ذلك بأنه لم يحاول التوفيق بين مذاهب النحويين وإنما كان حريصا على مهاجمة النحو جملة ، وقد اختار المذهب البصري (الذي كان شائعا من حوله) ولا يزال شائعا الى عصرنا الحاضر ، فاتخذة مسرحا لممارسته مع النحاة .

ولم يصب شوقي ضيف في هذا التمهليل ، لان النحو البصري لم يكن شائعا في المغرب ولا يزال الى اليوم ، بل العكس هو الصحيح إذ ان النحو الكوفى هو الشائع، والمغاربية كوفيون من جهة المدرسة التحوية .

ولعل ابن مضاء وجد في النحو البصري ما يكون اهلا لان يقاوم بيننا النحو الكوفى يعنى بالسماع أكثر مما يعنى بالقياس كما سبق ان بينا ، فالمدرسة الجديدة للنحو فى الاندلس والمغرب قامت فى مهد كوفى وضدا على النحو البصري الذي كان المغاربية يعنون بدراسة كتبه الكبرى ولا سيما سيويه وان لم يقولوا بالكثير من آرائه .

لقد أشار ابن حزم فى كتابه التقريب لحد التطق الى ان علم النحو يرجع الى مقدمات محفوظة عن العرب الذين يريد معرفة تفهيم للمعاني بلغتهم، واما المال فيه ففاسدة جدا (..)

ومفهوم ما يرمى اليه ابن حزم باظهاره فساد المال التحوية ، لانه اذا فسدت المال لم يبق مجال للقياس ، وهو ما يريد ابن حزم ان يطبق فيه مذهبه الفقهي بعدم القول بالقياس على النحو ، ولم يستطع

السيد سعيد الافغانى ان يتصور نحوا لا قياس فيه ، كما لم يستطع الفقهاء ان يتصوروا فقها لا قياس فيه، مع ان وجهة نظر الظاهرية واضحة لمن اراد ، لان عدم القول بالقياس يبقى ما لم يجيء فيه نص على فطرته اللغوية اي سليقته العربية ، كما ان ما لم يرد فيه نص يبقى على اساس اباحتها الشرعية ، فالمذهب الظاهري فى النحو توسعة فى اللغة تمكن المجتمع من اعتماد السليقة فى ابتكار ما لم يقل لا فى القيلس على ما قيل .

واذن فقد ظل الميل المغربى لمذهب السكوفة فى النحو قائما حتى بدت نظرية ابن حزم اولا ثم جاءت الثورة الموحدية فانصرف نظاروها النظر فى ما يجب تغييره من علم الكلام . وذهب آخرون منهم الى نقض الفقه المالكي ، وطائفة ثالثة يتزعمها ابن مضاء اتجهت الى محاولة تفجير الراي الذي عبر عنه ابن حزم تفجيرا ينبع بنحو ظاهري مستقر ، وقد لا يكون ابن مضاء نجح كل النجاح ولكنه على كل حال فتح باب العمل على تعديل النحو بكيفية ايجابية او فتح باب الاجتهاد فى النحو للتقدم به الى الامام .

ومن العيب ان يقال ان هذه المحاولات لا شيء، لان ابن مضاء لم يوفق فى بعض ادعائه ، فالنظرية لا تخرج كاملة من اول مرة ، ولذلك نجد ابن مضاء الموحدى الظاهري ينصح النحاة ولا سيما البصريين ان يفهموا منهجهم فى دراسة النحو .

ويعترف ابن مضاء للمؤسسى النحو الاولين انهم وضعوا صناعته لحفظ كلام العرب من اللحن وصيانته عن التغيير ، فبلغوا من ذلك الغاية التى املوا وانتهوا الى المطلب الذى ابتغوا ، الا انهم التزموا ما لا يلزمهم ، وتجاوزوا فيها القدر الكافي فيما ارادوه منها : فتوعرت مسالكها ووهنت مبادئها، وانحطت عن رتبة الاقناع حججها ، حتى قال شاعر فيها .

ترنو بطرف ساحر فاتر اضعف من حجة نحوي

على انها اذا اخذت الملائخ المبرا من الفضول مجرد عن المحاكاة والتخييل كانت من اوضح العلوم برهانا وارجح المعارف عند الامتحان ميزانا ، ولم تستعمل الا على يقين او ما قاربه من الظنون ، (2)

(1) مقدمة ابن مضاء لشوقي ضيف

(2) الرد على النحويين لابن مضاء . ص 80 ط شوقي ضيف .

6) الدعوة الى الغناء اللواتي والثوات

7) الدعوة الى الغناء القياسي

8) الدعوة الى الغناء التمارين غير العملية

9) يطالب ابن مضاء باسقاط الاختلاف في ما لا

يفيد نطقا من النحو ، كاختلافهم في علة رفع الفاعل ونصب المفعول .

ان محاولة ابن مضاء تسهيل النحو واسقاط الحشويات من تعليمه جزء من ثورة جريئة قام بها الموحدون وارادوا ان تكون شاملة في جميع الميادين ، ولكنه كما رجع المفاربة بعد انتهاء العهد الموحدى الى ما القوه من المذهب المالكي في الفقه عادوا الى اختيار المذهب الكوفي في النحو مع اقتباسات من مذهب البصريين والبغداديين . وقد ظل ابن آجروم وابسن مالك امامين للمفاربة لم يؤثر فيها الا هذه المؤلفات المعصرية الجديدة التي لم تترك للنحو العربي قيمته لما فيها من الاختصار وعدم الدقة في تفهم الالفاظ والماتى . وهكذا نجد المدرسة الانطلسية المغربية معنية بالنقل ، اولا باختيارها المذهب الكوفي ، وثانيها بمحاولتها جعل النحو على شكل المذهب الظاهري في الفقه ، وبالعباية مع هذا وذاك بدراسة المذهب البصري وكتاب سيوييه على الخصوص ، وليس من الانصاف ان لا يعترف للمغرب بما بذله من جهد في سبيل ابراز النظريات النحوية المختلفة ومحاولته الافادة منها وابتكار الجديد من غيرها .

عناية المفاربة بدراسة سيوييه :

وبعد ، فلان ما لكرناه من اختيارات مغربية ومن مدرسة انطلسية مغربية للنحو داخل في باب العناية بدراسة سيوييه ومناقشته والاخذ منه والرد عليه ، ومع كل ذلك فقد عنى المفاربة دائما بدراسة كستاب سيوييه وحفظه وشرحه والتعليق عليه ، ونذكر من الذين اعتنوا بالكتاب هذه الجماعة التي تمثل فرها وتعتبر عن قيمتهم العلمية .

1) فمنهم عبد الله بن الجهد الفهري ابو القاسم المتوفى سنة خمس عشرة وهمسائة ، شرح سيوييه وكان من ائمة الفقه والحديث والتفنن في المعارف .
2) ابو هيان الذي سبق ان نوهنا بعنايته بصاحب الكتاب ، وهو وان رهل الى المشرق واستقر فيه فهو بربري من شيمة البربر الذين ناروا لمذهبهم منطلقين من قبيلة نفزة التي ينتمى اليها ابو حيان ، وقد كان نحويانا العظيم ومفسرنا الكبير من اصديقاء ابن تيمية المصلح المشهور ، ولكن حدث ان سأل

وخالصة النقد الذي وجهه ابن مضاء للنحويين هو انه اعتبر ان في النحو ما يمكن الاستغناء عنه فيجب حذفه ، وذلك ينحصر في مسائل :

1) العوامل ، اى ادعاؤهم ان النصب والخفض والجزم لا يكون الا بعامل لفظى ، وان الرفع منها يكون بعامل لفظى وبمعامل معنوي ، وعبروا عن ذلك بعبارة توهم في قولنا : ضرب زيد عمروا ، ان الرفع الذي في زيد والنصب الذي في عمروا انما احده ضرب ومعنى كلام ابن مضاء هذا ان البصريين يجعلون الفاعل مرفوعا بالفعل والخبر مرفوعا بالابتداء بينهما يجعلون المبتدا مرفوعا بالابتداء ، وقد قال سيوييه في صدر كتابه « وانما تكررت ثمانية مجازي لا فرق بين ما يدخله ضرب من هذه الاربعة لما يحدثه فيه العامل ، وليس شىء منها الا وهو يزول عنه ، وبين ما يبني عليه الحرب بناء لا يزول عنه بغير شىء احدث ذلك فيه » فظاهر هذا ان العامل احدث الاعراب وذلك يبين الفساد ، وقد صرح بفساد ذلك ابو الفتح بن جنى وغيره ، وهكذا اخذ ابن مضاء يناقش سيوييه والبصريين في ادعائهم العوامل ويقول بابطالها .

2) اعترض على العوامل والتقدير المَحذوف وقال : ان المَحذوف في صناعتهم على ثلاثة اقسام : مَحذوف لا يتم الكلام الا به ، حذف لعلم المخاطب به ، كقولك لمن رأيت يعطى الناس اعط زيدا ، والثانى مَحذوف لا حاجة بالقول اليه ، وهو تام دونه ، وان ظهر كان عيبا كقولك : ازيدا ضربته . واما القسم الثالث فهو مضمرة اذا اظهر تغير الكلام عن ما كان عليه قبل اظهاره كقولنا : يا عبد الله اى ادعو عبد الله فاذا اظهر فعل ادعو تغير المعنى وصار التداء خيرا .

وقد انتقد ابن مضاء هذه التقديرات واعتبرها تمحلا لا حاجة اليه ، وقال ان اجماع التهويين على القول بالعوامل لا يعتبر حجة وينشد :

يقول من تفرغ اسماعه كم ترك الاول للاخر

3) اعترض ابن مضاء على متعلقات المجرورات وعلى تقدير الضمائر المستقرة في المشتقات واعترض كذلك على ادعاء تقرير الضمائر المستقرة في الانعالم .
4) انتقاد تنازع العامل عن المفعول الذي عبر عنه سيوييه « بيباب الفاعلين والمفعولين الذين كل واحد منهما يفعل بفاعله مثل ما يفعل به الآخر وما كان نحو ذلك .

5) باب اشتغال العامل عن المفعول ، اى اشتغال الفعل عن المفعول لتضميره مثل قولنا زيدا ضربته .

على الجزولية ، مات في حدود سنة ستين وستمائة
عن نحو أربعين سنة .

(8) محمد بن علي بن يحيى قاضي الجماعة
المعروف بالشريف شهرة لانساب كذا قال السيوطي في
البنية ، قال أبو حيان في النصار كان بمراكش في
زمن ابن أبي الربيع يدرس كتاب سيويه والفقه
والحديث ويميل الى الاجتهاد ، قرأ عليه اجلهم أبو عبد
الله الصنهاجي وأبو اسحاق العطار شارح الجزولية .
مات بمراكش عام اثنين وثمانين وستمائة .

(9) محمد بن علي السلاوي التحوي : قال في
البر السافر ، كانت له شهرة بمراكش وكان يقرأ
كتاب سيويه ومن احفظ الناس لكتاب الكامل ،
مات سنة خمس وستمائة . (2)

(10) عبد الله بن محمد بن عيسى « كان يختص
كتاب سيويه في كل خمسة عشر يوما يعني كما يتلى
القرآن او كتب الحديث » . (3)

(11) الاعلم يوسف بن سليمان الشنفرى شرح
آيات الكتاب وشرحه مطبوع في ذيل كتاب سيويه من
طبعة بولاق .

(12) ابن الطراوة سليمان بن محمد المالقى
(528) تلميذ الشنفرى ، قرأ عليه كتاب سيويه ،
الف المقدمات على الكتاب ، كما أن له اعتراضات على
الكتاب .

(13) علي بن محمد الكتامى الاثيلى (680) كتب
ردا على اعتراضات ابن الطراوة على كتاب سيويه .

(14) أبو حفص عمر بن عبد الله السلمى
الاغماتى ، ولد باغمات وانتقل للسكنى بمدينة فاس ،
اخذ عن أبي بكر بن طاهر كتاب سيويه ، وكان من
الشعراء الجيدين ، مات سنة 604 وهو قاضى
باشيلى وكان قبل ذلك قاضيا بفاس .

(15) ومن كبار الشخصيات الذين عنوا بشرح
سيويه وقراءته أبو عبد الله محمد بن عمر بن رشيد
الفهري السبتي ، ولد بسبتة وتوفى بفاس سنة 657
وهو صاحب الرحلة المشهورة المسماة (ملء العيبة
بطول الغيبة في الوجهتين الكرمتين الى مكة وطية)
وله شرح على كتاب سيويه .

بعضهم أبا حيان عن سيويه أمام ابن تيمية فقال هذا
الأخر : وهل سيويه شيء ؟ لقد أخطأ سيويه في
ثلاثين موضعا ، فاعرض أبو حيان عنه ورماه في كتابه
التهر بكل سوء . وقد شرح الكتاب والف الملخص من
شرح سيويه للصفار ، كما ألف التجريد لاحكام
سيويه . (1)

(3) ومنهم أحمد بن محمد بن محمد بن علي
الاصبحى الشيخ شهاب الدين أبو العباس العناني ،
نقل السيوطي عن ابن حبيب أنه قال عنه أنه حاز
افنان الفنون الانبية وملك زمام العربية ، وانتقل الى
الشام وتفقه الشافعى ، شرح كتاب سيويه وكتاب
التسهيل لابن مالك ، وكان قد أخذ عن أبي حيان ،
ومات في تاسع عشر المحرم سنة ست وسبعين
وسبعمائة .

(4) أبو بكر الجذامى الملقى : قرأ النحو على
الشلويين ، صنف شرح سيويه كما شرح ايضا
الفارسي ولع بن جنى ، توفى يوم السبت ثامن
رمضان سنة سبع وخمسين وستمائة .

(5) محمد بن أحمد بن هشام بن ابراهيم بن
خلف اللخمي اللغوي التحوي السبتي ، نسب له
التجيبى في رحلته المدخل الى تقويم اللسان وتعليم
البيان ، قال ابن الأبار له كتاب الفصول و الجمل في
شرح آيات الجمل ونكت على شرح آيات سيويه
للاعلم ولحن العامة وشرح الفصيح وشرح مقصورة بن
ريد ، كان حيا سنة 557 .

(6) محمد بن حجاج الحضرمى أبو عبد الله
وأبو بكر الوزير المعروف بابن مطرف قرأ النحو على
الشلويين وكان يحفظ كتاب سيويه وله تقييد على
جمل الزجاجى ، قال تقي الدين الفاسى أنه جاور
ببكة وكان من الصالحين ، ومات ليلة الخميس ست
رمضان سنة ست وسبعمائة .

(7) محمد بن علي بن محمد بن ابراهيم الانصاري
الملقى المعروف بالشلويين الصغير ، أخذ العربية
والقراءات عن عبد الله بن أبي صالح ولازم ابن
عصفور ، قال السيوطي في البنية أنه شرح آيات
سيويه شرحا مفيدا واكمل شرح شيخه ابن عصفور

(1) السيوطي ، بغية الوعاة ص 121 .

(2) بغية الوعاة ص 84 .

(3) مراتب النحويين ص 65 .

كرسى سيوييه والنحو في جامعة القرويين :

من المعروف في حوالات الاوقاف المغربية ان هناك وقفا على كرسى لقراءة كتاب سيوييه يعين له كبار العلماء ويحضره الذين يريدون التخصص في النحو ومعرفة الاسلوب البصري ومنهج سيوييه ، وقد نكروا في ترجمة المكودي شارح الالفية وهو ابو زيد عبد الرحمن بن علي بن صالح المكودي الفاسى انه كان يدرس كتاب سيوييه في مدرسة المطارين ، وانه آخر من درسه بفاس ، وعليه فقد كان قبله مواطنون على تدريسه ، وقد لا يكون التدريس للكتاب استمر بصفة غير منقطعة ولكن الذي لا شك فيه ان تدريسه وقع بفاس بعد المكودي ومن الذين درسوا سيوييه ابو حفص الفاسى .

ويظهر ان الفية ابن مالك والتسهيل وتوضيح ابن هشام وغيرها من الكتب الشهيرة في النحو كان لها الحظ الأوفر بعد هذا العصر في دراسة النحو في جامع القرويين والمدارس المضافة اليها ، واذا عرفنا ان الاسلوب المتبع سابقا في دراسة العلوم في القرويين يرجع اختيار الاستاذ والكتاب فيها الى الطلبة انفسهم، واذا كنا نعلم ان المدارس التي يسكنها الطلبة وتحيط بالقرويين كانت فيها قاعات فيها كراسى متخصصة لدراسة العلوم التي من بينها علم النحو في القرويين والمدارس المحيطة بها ، نيقنا انهم درسوا سيوييه الى جانب ما درسوه من كتب النحو المشهورة .

وقد عدد الاخ الاستاذ عبد الهادي التازي في كتابه جامع القرويين المجلد الثاني منه عدد الكراسى التي كانت مخصصة للنحو والفقه معا والبعض منها الذي كان مخصصا للنحو فقط ، واقدم هذه الكراسى العلمية هو الكرسى الذي كان بمدرسة الحلفاويين التي سميت بعد مدرسة الصغارين وكان يقرأ فيه الفقه والنحو ، ومن مشاهير الاساتذة الذين درسوا فيه الشيخ سيدي احمد السراج ، ومثل ذلك يقال عن مدرسة الخصة التي كانت معدة للفقه والنحو ، وقد كان من جملة اساتذتها الذين درسوا النحو بها قاضى الجماعة عبد الواحد الحميدي الذي تولى تدريس المفنى كما درس بها كتاب سيوييه والسرقي وابن مالك وابن آجروم والمكودي ، وكان كرسى المدرسة المتوكلية

خاصا بالنحو تعاقب عليه جملة من العلماء ، وفي مدرسة الصهرح كان هناك كرسى للفقه والنحو ، وكذلك كرسى مدرسة العطارين للفقه والنحو ، فقد سبق ان قلنا ان مدرسة العطارين كانت تحتوي على كرسى للنحو الذي درس فيه كتاب سيوييه الى بداية القرن التاسع وهناك كرسى آخر بمدرسة فاس الجديدة للفقه والنحو ايضا . ومثله بمدرسة الوادي للفقه والنحو ، وكان بمسجد الرصيف كرسى خاص بالنحو ، وبمسجد الشراييلين كذلك كرسى خاص بالنحو (1) .

وقد وضع جزء من كتاب سيوييه ضمن برنامج الاجازة التي نظمتها الفرنسيون لتخريج حملة الشهادة العربية الاصيلية من الفرنسيين الذين كانوا يعدونهم لترجمة في المستعمرات والبلاد المحمية ، وقد رايت واحدا من هؤلاء الذين كانوا يعدون لامتحان هذه الشهادة يأخذ من ابن عمنا سيدي عبد السلام الفاسى دروسا بالمشافهة والمراسلة في الجزء المقرر من كتاب سيوييه ، واعتقد ان حملة هذه الشهادة من المغاربة درسوا ذلك الجزء من الكتاب .

وقد اهتم الاخ عبد القادر زمامة من خريجي القرويين بكتابة فصل في مجلة (دعوة الحق) العدد السابع السنة الخامسة ص 43 يدعو فيه الى اعادة الاهتمام بكتاب سيوييه ودراسته ، وهكذا فان مقام سيوييه وكتابه عظيم في المغرب لم يمنع المغاربة من العناية به ميلهم لنحو الكوفة ولا محاولة اقامة مدرسة مغربية ، الامر الذي يدل على انهم ادركوا مقامه وقدره وقدره وهو بالعناية جدير .

رواية المغاربة لكتاب سيوييه وسندهم في ذلك

اعتاد المغاربة اقتداء باخوانهم في الشرق ان يأخذوا كل العلوم بطريق الرواية والاسناد ، ويعتبرون الرواية ولو بطريق الاجازة هي التي تنقل العلم من الاستاذ الى التلميذ ، فكما يسندون القرآن الى ائمة القراءات وعن اخوها وحفظوها ، ويسندون الحديث الى روايته ، كذلك يسندون الكتب الى مؤلفيها والعلوم الى مؤسسيها عن طريق ائمتها ، ومن ثم نجد المغاربة معنيين برواية النحو واسناده الى مؤسسه

(1) انظر تفاصيل هذه الكراسى واوقاتها في الفصل الذي كتبه السيد عبد الهادي التازي في كتابه عن القرويين تحت عنوان (المدينة ذات المائة والاربعين كرسى) ص 379 ، ج 2 .

الاول على بن ابي طالب ، ورواية اهم مدوناته وفي مقدمتها كتاب سيبويه ، وقد سبق ان قلنا ان الرواية عن سيبويه كلها تمر عن طريق الاخفش ، يستوي في ذلك المسندون من المشاركة او من المغاربة .

وسنجزئ هنا بسندنا في النحو الى الامام على ابن ابي طالب عن طريق الاخفش وسيبويه فنكون بذلك قد ذكرنا السند الموصل بالاجازة لكتاب سيبويه والمرفوع الى المؤسس الاول للنحو ابي الحسين كرم الله وجهه ، فنقول روينا النحو ايجازة وقراءة من استافنا العلامة المرحوم سيدي احمد المرانسي وشيخنا ابي حفص عمر الحرسى المنفى التونسي الاصل المتوفى بالمدينة المنورة وذلك حين قدومه الى مدينة فاس ، عن شيخها ابي الحسن على بن طاهر البزري ، عن عبد القادر بن احمد بن ابي جريدة الكوهن الفاسى عن الشيخ المحقق الطيب بن كيران و ابي العلاء المراقى الحسينى وابن عبد الله الزروالى فالاولان عن والد الثماني زين العابدين العراقى والآخر عن الاول وعن ابي محمد بن عبد القادر بن شقرون وهما عن ابي حفص الفاسى و ابي السعد عبد المجيد الحسنى التالى الشهير بلزبدي زاد ابو العلاء بالاخذ عن الشيخ التاودي ابن سودة والثلاثة عن العلامة الحافظ التحوي سيدي احمد الوجارى القضاعى وهما عن الشيخ المسناوي والعلامة سيدي محمد بن زكري والعلامة سيدي عبد السلام بن الطيب القادري الحسنى وهم عن الشيخ سيدي محمد بن عبد القادر الفاسى و ابي الفضل المرزى بن الحاج ، وهما عن والد الاول بسنده الى ابن حجر عن ابي الفرج العربى عن يونس المسقلانى عن محمد بن الفضل المرسى ، عن زين بن حسن الجندوز عن عبد الله الخياط ، عن المبارك الدباس ، عن عبد الواحد بن برهان ، عن ابي القاسم النيفى ، عن ابي الحسن الرمانى عن ابي سعيد السيرفى عن ابي بكر محمد بن السراج وعن طريق سيدي احمد بن العربى بن الحاج عن الشيخ ابي سالم العياشى اجازة عن الشيخ شهاب الدين احمد بن محمد الخفاجى عن العلقمى ، عن السيوطى ، عن ابن مقبل عن الصلاح ، عن ابي عمر ، عن الفخر البخارى ، عن ابي حفص ابن طبرزه ، عن ابي بكر

الانصارى ، عن ابن محمد الجوهرى ، عن ابي على الفاريسى ، عن ابي بكر السراج المتوفى سنة 276 يفتاد عن الجرمى والمازنى ، عن ابي الحسن الاخفش عن سيبويه وهو ابو عمر بن عثمان بن قنبر البصرى المتوفى سنة 180 عن الخليل بن احمد الفراهيدى المتوفى سنة 170 عن ابي عبد الله بن ابي اسحاق وعيسى ابنى يعمر و ابي عمر بن العلاء ، وهم عن عنبة الفيل وميمون الاقرن ويحيى بن يعمر وعطاء و ابي حرب ابنى ابي الاسود الذولى رضى الله عنه ، عن سيدنا ومولانا على بن ابي طالب كرم الله وجهه . قال الكوهن فى فهرسته بعد ذكر السند السابق وهو ابي سيدنا على واضمه كما اخرج الزجاجى فى اماليه والبيهقى فى شعب الايمان و ابو الفرج فى الاغانى من طرق ممتدة ، وهذا بعض مظهر قوله (صلم) « انا مدينة العلم وعلى بابها » اخرج الترميذى والحاكم عن سيدنا على كرم الله وجهه ، واخرجه الحاكم ايضا والطبرانى عن ابن عباس رضى الله عنهما .

ومن هذا رفق مدار العناية التى كانت للمغاربة بنحو البصريين والى منهم ، وان كانوا اميل الى نحو الكوفة مقر على ابن ابي طالب كرم الله وجهه المؤسس الاول للنحو وان كانوا قد وضعوا فى احدى مراحل تاريخهم مدرسة انطلسية مغربية تختلف فى الكثير عن مدرسة البصرة . ولا شك ان التنكر بدور المغرب فى هذا الفن وعنايته بزجاله الكبار فى المشرق والمغرب واعطائهم لسبويه نفس الاعتبار الذى يعطونه للعكسائى يبين مقدار الوحدة الثقافية التى كانت تربط العالم الاسلامى ، وتعمل من الكسائى والاخفش وسبويه وغيرهم من رجال المعجم ، والجزولى و ابا حيان وابن اجرى وغيرهم من ابناء البربر المغاربة ، ائمة علم العربية وابطال الوضع لقواعدها وارساء مبانيها الى جانب الاجلاء لاسرارها ومعانيها ، اليس فى هذا ما يجعل حضارة الاسلام وثقافته مشتركة بين شعوبه وترانا قوميا لكل المسلمين الذين وحد القرآن بينهم وجعل اللسان العربى مظهرا من مظاهر توحيد الامة المحمدية الخالدة .

علال الفاسى

كتاب سيبويه في المغرب والاندلس *

الاستاذ: محمد حجي

تمهيد تاريخي :

يتصل كتاب سيبويه بالدراسات اللغوية والنحوية في المغرب والاندلس اتصالا وثيقا عبر العصور ، ويرجع احتكاك هذه البلاد باللغة العربية الى عهد الفاتحين المسلمين في القرن الهجري الاول . وكانت عجمة لسان سكان هذه المناطق مدعاة الى اقبالهم على تعلم لغة القرآن منذ ان اخذ الاسلام ينتشر بينهم ، والعرب يقيمون بين ظهرانيهم . وقد بدأ تعلم اللغة العربية في المغرب الاسلامي بطريق المحاكاة والتعجب الشفوي البسيط ، وحفظ آيات وسور من القرآن الكريم لاداء الشعائر الدينية ، قبل ان يميل الى استكناه أسرار اللغة والتعرف على قواعدها ، حينما رسخت قدم الاسلام في هذه البلاد ، واصبحت جزءا لا يتجزأ من الدولة الاسلامية الكبرى . لاسيما عندما اخذت تنتشر الحركة الفكرية ، الدينية واللغوية ، القائمة في المشرق آنذاك ، وتتردد اصداؤها في ارجاء المغرب والاندلس .

خلفاء دمشق او بغداد تصل الى المحيط الاطلنطي وجبال البرانس ، او عندما انفصلت المنطقة عن انظارهم بزعملة الامويين في الاندلس ، والادارسة في المغرب ، والاغالبية ثم الفاطميين بافريقيّة .

وابتداء من القرن الهجري الرابع ، دخل الغرب الاسلامي مرحلة النضج والتفتح الفكري ، حيث اخذت مساجد قرطبة بصفة خاصة ، تمنح باعلام العلماء ، ومكتباتها تزخر بمختلف المؤلفات اللغوية والنحوية والادبية ، ايام عبد الرحمن الناصر ، وابنه الحكم المستنصر . وتأكدت شخصية هذه المنطقة في القرون التالية مع المرابطين والموحدين الذين تمكنوا طوال قرنين ونيفا من اقامة امبراطورية انتظمت في سلكها امطار شمال افريقيا والاندلس ، فكان العلماء ينتظون في ارجائها الفسيحة ، يملون ويؤلفون ، وينالون من ضروب الاكرام والتشجيع الوانا . وفي هذه الفترة بالذات نالت الدراسات اللغوية والنحوية والادبية اوفى نصيب ، وراج كتاب سيبويه اعظم رواج .

ثم كانت زوابع ومحن في الغرب الاسلامي خلال القرن الهجري السابع كادت تعصف بشانته ، لولا جهود المرينيين الفخمة فيها بعد ، والمثبلة

كان من الطبيعي ان يحدث مثل هذا في الجناح المشرق من الامبراطورية الاسلامية ، غير ان قيام مدينتي البصرة والكوفة في العراق . واقبال علمائهما من عرب وفرس على جمع اللغة العربية وفلسفتها بتعميد القواعد واستنباط الاحكام والضوابط ، اسرع الخطى بتلك الاقطار في ميدان العلوم اللسانية ، وخولها نصب المسبق في هذا المضمار ، حتى انجبت من الاعلام امثال الخليل بن احمد ، ويونس بن حبيب وسيبويه الذين اصبحوا ائمة العربية في كل زمان ومكان .

لقد دخل النحو الى المغرب والاندلس مع تلاميذ هؤلاء الائمة الذين هاجروا من المشرق فحطوا رحالهم بالقيروان وفاس وقرطبة ، واملوا على المتعلمين في هذه البلاد ما حوته صدورهم وقراطيسهم من علم غزير . ولئن عرفت الاوضاع السياسية بهذا الجناح الغربي من العالم الاسلامي تقلبات كثيرة خلال القرون الهجرية الاولى ، فان الحركة الثقافية ، ومن ضمنها العلوم اللسانية ، لم تنتن عن طريقها او تقف عند الحدود المصطنعة التي كانت تنصب حاجزا هنا وهناك ، تتقدم تارة وتراجع اخرى . فتابع العلماء نشاطهم الفكري في هذه البلاد ، سواء في المعهد الذي كانت فيه سلطة

* من محاضرة التي بالمؤتمر العالمي الذي اقامته جامعة بهلوي بشيراز لتكريم امام اتحة سيبويه بمناسبة مرور اثنى عشر قرنا على وفاته ، من 27 ابريل الى 2 ماي 1974

في حشد المساجد والمدارس الفخمة وتشجيع المعلمين والمتعلمين في كل جهات المغرب ، وفي تقديم العمون المادى والمعنوى لمملكة قرناطة ، فكان لذلك الاثر المحود في احياء نماء العلم بالمذوتين ، واعطى الدراسات اللغوية والنحوية فيهما ، وبخاصة كتاب سيويه نفسا جديدا .

ولما حم القضاء ، وحلت النكبة الكبرى بالمسلمين في الاندلس في نهاية القرن التاسع اوت اندوة الجنوبية مختلف القومات الحضارية مع آخر المهاجرين الاندلسيين ، واصبحت مدينة فاس دار مقام لعدد عديد من الاسر النبيلة ، وفي مقدمتها أسرة ابي عبد الله النصرى آخر ملوك بني الاحمر ، وعمر اندلسيون آخرون مدن تطوان والرباط والقصبة ، واستوطن غيرهم حتى قمم الجبال وحدود الاودية ، وبلغوا بساط سوس الاقصى .

وبذلك امتزجت الحضارة الاندلسية بالحضارة المغربية امتزاجا نهائيا ، ولم تنطفئ ذبالة تلك الثقافة الاصلية ، ومعها الدراسات النحوية وكتاب سيويه ، لم تنطفئ في المغرب الى ايام الناس هذه .

الدراسات النحوية في المذوتين :

بدأت الدراسات النحوية بالشرق . كما هو معلوم ، في زمن مبكر ايام الخلفاء الراشدين ، وتوالت بعد ذلك الى ان ظهر في البصرة الخليل ابن احمد الفراهيدى في منتصف القرن الهجرى الثانى (موضع الاسس ونهج الطريق) تاركا امر تدوين القوائين النحوية الى تلميذه ابي عمرو بن عثمان سيويه واضع « الكتاب » المشهور . وقد يكون هذا الكتاب من بين الاسباب التى أدت الى احتدام الخصام بين المذبتين المتنازعتين : البصرة والكوفة ، ذلك الخصام الذى انجلى عن قيسام مبرستين نحويتين ، احدهما ، وهى مدرسة البصرة ، تسندها الاصالة والمنطق ، اذ وضعت قوائين عامة حسب مقاييس معتولة واهملت الشواذ وما خالف الاستعمال المشهور عند جمهور العرب ، فحصرت بذلك اللغة العربية في قوالب محكمة وصيغ مضبوطة يسهل - نسبيا - ادراكها والاحاطة بها . والثانية ، وهى مدرسة الكوفة ، ساندتها البلاط المباسى وشدها ازرها لاغراض لا علاقة لها بموضوع اللغة وقواعدها . هذه

المدرسة الثانية ولو انها اصطيفت في البداية بصيغة عامية محضة ، فانها تحولت الى ما يشبه مسجد الضرار ، خاربة القوائين اعتيادا على سماعات شاذة أو منحولة ، وشعبت الى حد كبير سبل تحصيل النحو ، أو امسسته على حد تعبير السيوطى .

ثم تدارس علماء بغداد بعد ذلك آراء المدرستين المتنازعتين ، فوازنوا واستظفروا ، وخطأوا ورجحوا . ونتج عن ذلك ظهور مدرسة بغدادية جديدة ، هى مزيج من مذهبى البصريين والكوفيين .

وقد تلقى الغرب الاسلامى قواعد اللسفة العربية بذاهبها الشرقية الثلاثة ، عن طريق النخلة المهاجرين ، ومعظمهم جاؤوا من بغداد ، فآخذوا من كتاب سيويه اسسا للتعليم ، لانهم بدورهم آخذوه عن شيوخ بصريين أو مشايخين لمذهبهم . ولانتشار المدرسة البصرية في المغرب والاندلس ، وسيادتها في المهود الاولى على سا عداها من المدارس النحوية اسباب يمكن اجمالها فيما يلى :

اولا - ان المذهب البصرى اكثر اصالة ومنطقية ، وامل تشعبا وتحلا .

ثانيا - وجود كتاب سيويه بين ايدى الناس ، لا يزاحه كتاب آخر للرؤاسى أو الكسائى أو غيرهما من الكوفيين . والكل يعلم ان هؤلاء لم يؤلفوا ما يمكن ان يضاهى أو يقارب كتاب سيويه وانما هى رسائل وكراريس لا تذكر امام الكتاب .

ثالثا - مناصرة العباسيين لعلماء الكوفة ، واينارهم اياهم بتعليم ولاية العهد وابناء كبار رجال البلاط ، جعل الناس في الفسرب ينثرون من هذا المذهب بعد ان خاصموا خلافة بغداد وخلصوا طاعتها .

على ان ذلك لم يصرغ علماء المغرب والاندلس نهائيا عن النظر في مسائل الخلاف ، فتمعنوا عن آراء مختلف الفسرق ، ونظروا بخاصة في القضايا التى اخذت على البصريين فانبثوا منها وابطلوا ، وانتقدوا بدورهم بعض آراء البصريين ، ومسائل من كتاب سيويه نفسه ، وخرجوا هم ايضا بمدرسة نحوية جديدة ، هى المدرسة المغربية الاندلسية التى تحدث عنها ابن خلدون في غير ما موضع من المقدمة .

الاندلسيين الذين شرحوا الكتاب وعلتوا عليه .
 فهو قد ألف كتاب **تحصيل عين الذهب من معدن
 جوهر الادب في علم مجازات العرب المطبوع مع
 كتاب سيويه في طبعة بولاق شرح فيه شواهد
 الكتاب الشعرية التي تنيف عن ألف بيت ونسبها
 الى أصحابها .** وألف أيضا كتابا جمع فيه التكت في
 كتاب سيويه ، ورسالة مطولة في المسألة الزنبرية
 الشسيرة ، أوردها المقرئ بتمامها في نفع الطبيب ،
 الجزء الرابع من طبعة بيروت الاخيرة .

اشهر الدارسين لكتاب سيويه :

تكاثر عدد الدارسين لكتاب سيويه في المغرب
 والاندلس عبر المصور تكاثرا يجعل من العبث
 محاولة تعدادهم بل الاحاطة بهم ، ولو اتسع مجال
 القول . غير انه لن يكون دون مائة في ختام هذا
 العرض الموجز الاشارة الى بعض الاعلام البارزين
 منهم تمثيلا لما سبق وتوثيقا .

فذكر في البداية ثلاثة من التحاة المشاركة
 الذين دخلوا المغرب والاندلس في القرون
 الاسلامية الاولى وكان لهم فضل السبق في نشر
 النحو واللغة والادب وكتاب سيويه في هذه الديار .
 وهم :

أبو اليسر الشيباني ، ابراهيم بن أحمد
 البغدادي ، تلميذ عالمي البصرة المبرد والجاحظ ،
 وصاحب الشاعر في أبي تمام والبحتري . حمل
 معه الى المغرب علما غزيرا ، وانصرف جمل
 اهتمامه الى كتاب سيويه ، حتى أنه كتب منه
 نسخة في أخريات حياته بقلم واحد ما زال يبريه
 حتى تصر فاندخله في قلم آخر وكتب به حتى نثره
 بتمام الكتاب . وكاتت خاتمة مطاقت أبي اليسر
 مدينة القيروان حيث توفي عام 298 .

وأبو علي القاسم ، اسماعيل بن القاسم
 البغدادي ، صاحب **الخواص والامالي ، والمقصود
 والممدود ، والبلوغ ،** وغيرها من كتب اللغة والنحو
 والادب . وقد على عبد الرحمن الثامر الاموي عام
 330 وعاش بقربطبة يدرس ، في جملة ما يدرس
 ويلى « **كتاب سيويه** » ، وكان قد أخذه في بغداد
 عن ابن درستويه عبد الله بن جعفر الفارسي .
 وعسرف القاسم بتدقيق النظر في الكتاب والانتصار
 للبصريين الى أن توفي عام 356 .
 وساعد البغدادي ، أبو العلاء بن الحسين -

ونصيا يتعلق بالاتبال على دراسة اللغة العربية
 وتواعدها في الغرب الاسلامي ، نلاحظ وجود نفس
 الظاهرة الشرقية المتجلية في وغرة العناصر الاعجمية
 الاصل من بين الدارسين . فكما كان سيويه ودرستويه
 الفارسيان مثلا من اعلام النحو العربي في الشرق ،
 كان الجزولي وابن آجروم من برابرة السوس الاقصى
 من ائمة هذا الفن في الغرب . وظلت كتبهم جيما
 تقرا وتشرح على تماقب الحقب والاجيال . غير ان
 من المفارقات التي لا ينبغي اغفالها في هذا الباب ،
 انه اذا كانت العناصر الغير العربية في الشرق ،
 وبخاصة الفارسية قد اخذت تعود الى لغتها الاصلية
 منذ زمن غير بعيد عن عصر سيويه ، فان السوسيين
 في المغرب ظلوا يتعلمون لغة القرآن ويعلمونها ويؤلفون
 فيها مات الكتب الى اليوم . وقد نشر المرحوم المختار
 السوسي منذ بضع سنوات تراجم علماء هذا الاتليم
 المغربي وآثارهم الضخمة في اللغة العربية وغيرها ،
 في كتابين هامين : **سوس العالم ، والمصول ،** ويتبع
 هذا الاخير في عشرين مجلدا .

مركز كتاب سيويه :

لعل اصدق تعبير عن المكانة المكنية لكتاب سيويه
 في نفوس المغاربة والاندلسيين انه ظل معتدهم
 الاساسي في الدراسات العليا لم يستبدلوه بغيره طوال
 القرون . ولا يفهم من وجود كتب دراسية نحوية في
 هذه المنطقة انها حلت محل الكتاب ، وانما هي مقدمة
 وارجيز وضعت للمبتدئين والقامرين عن ادراك
الكتاب وذلك كمقدمة الجزولي وابن آجروم ،
 والفيقي ابن معطى وابن مالك وما اليها من شروح
 وحواش . ومع ذلك بقي الكتاب مجال براعة
 المرزيين من شيوخ النحوة وملتنقى
 النجباء (الشادين) من الطلاب . هذا بالاضافة
 الى ونرة عدد حفاظ الكتاب والمشتغلين
 بالكتابة عليه شرحا وتعليقا واستدراكا . ومن
 نماذج حفاظ الكتاب المغاربة ابرهنا المسكوري ،
 موسى بن يعومين صاحب كرسى **كتاب سيويه** في
 القيروان . فقد نكروا في ترجمته أنه فتح بين يديه
 يوما كتاب سيويه بالقرابين في ثلاثة مواضع ، فقرأ
 في كل موضع مقدار ثلاثة احزاب مرضا عن ظهر
 قلب . وكان ذلك بتدبير من خلفه الذين راموا
 اعجازه على رؤوس الملا لما كان في طبعه من حدة
 وفي لسانه من سلاطة . كما يعتبر الاعلام المشتهرى
 يوسف بن سليمان الاشبيلي من أبرز نماذج

المغرب ، يدرس كتاب سيويوه في كل من فاس وسبتة
وسلا ، مكونا حلقة أولى في سلسلة نحوية ستطول
أجيالا عديدة . وكانت ولما بمدينة سلا عام 559 .

— ومحمد بن أحمد ابن طاهر الاتصاري
الاشبيلي قرأ بالاندلس والمغرب ، واستوطن
مدينة فاس قائما على تدريس كتاب سيويوه ، وله
تعليق على الكتاب . وأقسم أن يقرئه في البصرة
حيث وضعه سيويوه ، وبر ابن طاهر بقسمه فحج
ودرس الكتاب بمصر والبصرة مدة ، ومرض في
طريق رجوعه ، مات في بجاية بالمغرب الاوسط
عام 580 .

ومن أبرز تلاميذ الإمامين الزقاق وابن
طاهر :

أبو الحسن بن خروف ، علي بن محمد
الحضرمي ، وهو أندلسي الاصل قرأ كتاب سيويوه
بناس واشبيلية وبراكنس وغيرها ، ووضع عليه
شرحا عجيبا سماه تنقيح الالباب في شرح غوامض
الكتاب ، وله رسائل عديدة في مناظرة كبار نحاة
مصره .

وعمر بن عبد الله السلمي الاغماني (أغبات.
تربية من مدينة مراكنس) لم يصرفه بمنصب القضاء
الذي أسند اليه في تطسان وفاس واشبيلية عن
تدريس كتاب سيويوه في هذه المدن كلها ، الى أن
أركته الوفاة نجاة باشبيلية وهو بها تلميذ
عام 603 .

— وأبو القاسم بن اللجوم ، عبد الرحمن
ابن عيسى الأزدي . وأسرة ابن اللجوم من أهل
أسر فاس ، تسلسل فيها العلم والجاه والثروة
نحو عشرة قرون . وكانت لهم مكتبة من أعظم
المكتبات الخاصة في المغرب الاسلامي . درس أبو
القاسم على كبار نحاة مصره في المغرب والاندلس
ونظر شيخه ابن طاهر في نحو الثلث من كتاب
سيويوه . وأقرأ الكتاب مدة غير قصيرة في جامع
القرويين الى أن توفى بفاس عام 604 .

— والإمام الشلوبين ، عمر بن محمد ، شيخ
نحاة اشبيلية قبل أن ينتزعا المسيحيون من يد
المسلمين . كان يدرس بها كتاب سيويوه ، وكتب
تعليقا بها طارت شهرته شرقا وغربا .

ومن أبرز المتخرجين على يد الإمام
الشلوبين :

دخل الاندلس أيام المنصور بن أبي عابد ، فاهتبل
بمقدمه وأراد أن يعنى به على آثار أبي علي القالي
للوافد من قبل علي بن أبي . لكن تلة خبرة صاعد
بكتاب سيويوه عرضته الى السخرية والاهمال ،
ولم يشفع له لدى الاتلسيين ما أملاه عليهم من
كتاب التصوي . فقد ذكروا أن صاعدا دخل يوما
على المنصور في مجلس ضم نحاة الاندلس وأدباءها
فسأله عن أبي سعيد السيراني ، فزعم صاعدا
أنه لقيه وقرأ عليه كتاب سيويوه ، فبادره العاصمي
بسؤال عن مسألة من الكتاب فلم يحضره جوابها ،
واعتذر بأن النحو ليس جيل بضاعته ، فكان ذلك
بداية الشؤم الذي ظل يلاحق صاعدا في جهات
الاندلس الى أن أجلاه عنها أيام الفتن الى جزيرة
صقلية حيث مات مغربا حوالي عام 410 .

أما النحاة الاندلسيون والمغاربية الذين علقوا
بكتاب سيويوه وبرعوا في تدريسه والتعليق عليه ،
فبان في تلاميذهم ابنا العم الاشبيليان الزبيديان
أبو محمد وأبو بكر .

قرأ أبو محمد عبد الله بن محمود الزبيدي
النحو بسقط رأسه في الاندلس ودرس كتاب
سيويوه ووضع عليه شرحا من أحسن ما شرح به
الكتاب . ثم تانت نفسه الى لقاء كبار النحاة
بالمشرق ، فرحل الى بغداد ولازم أبا سعيد
السيراني ثم أبا علي الفارسي . ولما انتقل هذا
الاخير الى فارس سار معه أبو محمد الزبيدي
اليها فدعاه الفرس أبا عبد الله الاندلسي .
وتضايق أبو علي الفارسي من هذا اللاحق في
الطلب والرغبة في الاستفادة ، فكان يقول للزبيدي
عنى رؤوس الملا : (أن والله على وجه الارض
أنهى منك) وأدركت الوفاة أبا محمد الزبيدي
ببغداد عام 372 .

أما أبو بكر الزبيدي فلم يفادر بلاد الاندلس ،
وظل يدرس كتاب سيويوه في اشبيلية الى أن دعاه
الحكم المستنصر الى قرطبة ليؤدب فيها ولي مهده
هشام ، وكانت له في جامعة الامويين مجالس
نحوية عالية على غرار مجالس أبي علي القالي
السابقة . وألف أبو بكر الزبيدي في جليسة ما ألف
استدراكا على كتاب سيويوه ، ومات وهو تلميذ
باشبيلية عام 379 .

ونجد في العدة الاخرى ، أبا محمد الزقاق ،
قاسم بن محمد ابن الحاج ، شيخ النحاة في

أبو زيد المكودي ، عبد الرحمن بن صالح ،
إمام النحاة في عصره ، ومؤلف الشرح الشهير
على الفية ابن مالك . كان صاحب كرسي كتابة
سيبويه في القرويين إلى أن تولى بفاس عام 807 .

وأبو عبد الله البعقلي ، محمد بن إبراهيم ،
من قرية آيت الطالب في السوس الأقصى بجنوب
المغرب ، كان يستظهر كتاب سيبويه ويدرسه لتجاء
طلبة البادية عقودا عديدة من الستين . وكسنت
وفاته عام 976 .

وأبو العباس الدلائي ، أحمد الحارثي بن
محمد بن أبي بكر . تخصص من بين توبه العلماء في
تدريس كتاب سيبويه بزوايتهم الدلائية في جبال
الاطلس المتوسط بالمغرب ، إلى أن تولى عام
1051 .

وأبو عبد الله الدرعي ، محمد بن ناصر ،
عاش في قرية تامكروت بمحراء المغرب يدرس
كتاب سيبويه ونسجه ابن مالك . إلى أن لقي ربه
عام 1085 .

وبعد فإن كتاب سيبويه ظل محط عناية النحاة
المغاربة والاندلسيين منذ حمله إليهم تلاميذ سيبويه
فدرسوه وشرحوه واستذكروا عليه وانتقدوا بعض
مسائله ، ودانعوا من ينتقسه بغير حق . ومازالت
كلية اللغة العربية بمراكش التابعة لجامعة
القرويين حتى اليوم تضع كتاب سيبويه في طليمة
المواد التي يدرسها طلبة الدراسات العليا بها .

الرباط - محمد هجي

أبو محمد الأنصاري ، عبد الله بن علي . وانتقل
بعد سقوط اشبيلية في يد النصارى إلى مدينة
سبتة بالعدوة المغربية ، ناستوطنها ودرس بها
كتاب سيبويه إلى أن تولى عام 647 .

عاصر أبا محمد الأنصاري في سبتة نحوي آخر
شهير هو :

أبو الحسن الثمالي . علي بن محمد الغانمي ،
كان الكتاب معتمده في مرحلتى التعلم والتعليم ،
وتولى بعد الأنصاري بعامين .

ومن أبرز الشخصيات التحوية في القرنين
الهجريين السابع والثامن :

الإمام الصفي ، محمد بن يحيى النعدي .
أشهر المتخرجين على ابن خروف والتمم مقامه في
تدريس كتاب سيبويه في القرويين بفاس ، تولى
رحمه الله شهيدا في إحدى المارك ضد المسيحيين
بجبل الفتح المعروف اليوم بجبل طارق عام 651 .

وأبو حيان الجياتي ، أمير المؤمنين في النحو .
كان ملتزما إلا يتراءى غير كتاب سيبويه ، أو تسهيل
ابن مالك للذين لم يتأهلوا بعد لخوض غمار
الكتاب . وكان أبو حيان سلفيا معجبا بأراء ابن
تيبة ، فشد الرحلة إليه من الأندلس ، وأقام معه
مدة في دمشق ، إلى أن خطأ ابن تيمية سيبويه وكتبه
مكأن ذلك سبب اعراض أبي حيان عنه وذهابه
مغاضبا إلى القاهرة . حيث أدركته الوفاة
عام 745 .

ومن أشهر السيبويهيين المغاربة في القرون
المتأخرة :

أثر سيبويه في نشأة النحو العبرى

بتلم : الدكتور حسن ظانقا
الاستاذ بكلية الآداب بجامعة الاسكندرية

قبلها من حضارات ، ولا تحاول في عاصمة عنيفة قاسية أن تذهب بما كان قبلها من التراث الانسانى ، بل بعكس ذلك تعمل على الاستفادة من تجارب السابقين : من فلسفة اليونان ، ونظم الرومان ، وآداب الفرس ، وحكمة الهند ، ومهارة الصين ، وخبرات مصر والشام . وبلغت هذه الحضارة الاسلامية ذروتها في ظل الدولة العبسية ، وبدا السباق بين الفكر البشرى واللغة العربية ، وكانها هو يواجه ازمة دقيقة جدا . فقد دخلت في السدين الجديد شعوب لمسل اكثرها تم حمل من مسؤوليات الحضارة اكثر مما حملته قبائل العرب ، وبدأت الالسنه تختل ، وذب اللحن والخطا الى اللغة ، وتسرب المتعميد والركاكة الى الاساليب ، ولكن طبيعة التطور لم تدع الخطر يستشرى في كيان اللغة العربية ، بل قبض الله لها من العلماء الاعلام من بذلوا كل الجهد في خدمتها وصيانتها والدفاع عنها : من امثال سيدنا على بن ابي طالب ، و ابي الاسود الدؤلى ، وعنسة بن معدان الميسانى المشهور باسم عنسة النبل ، و ابي عمرو بن العلاء ، وعبد الله بن ابي اسحق الحضرمى ، و ابي عمدة عيسى ابن عمر النخعى ، والخليل بن احمد بن عمر بن تميم الفراهيدى البصرى ابي عبد الرحمن ، والاصمعى ابن سميد عبد الملك بن قريش ، ويونس بن حبيب ابي عبد الرحمن ، وغيرهم .

وقد كانت آثار أولئك الاوائل من اللغويين والثناء تصنف على الخصوص بجمع المادة العربية النصيحة ، والنظر فيها ، وشرحها ، وتحليلها ، ومقارنة بعضها ببعض أحيانا ، والاجتهاد في ادخالها

من الامور التي لا تحتاج الى الاطالة في شرحها كون اللغة خادما للفكر ، واداة لحفظه وتوصيله الى البشر ، من المنكلم الى السامع ، ومن راوية يحمل عين قبله ليؤدى الامانة الى من بعده ، ومن كاتب يسجل بعض ثمار الفكر الانسانى لتواصل مسيرتها عبر الاجيال والاطار .

واللغة - اية لغة كانت - تتعرض في حياتها الطويلة لما يتعرض له كل كائن حى من فترة طفولة ثم مرحلة شباب ، يليها نضج كامل تحل فيه مسؤولية الفكر بكل ثقلها ، وتضطر فيه غالبا الى التبادل مع غيرها اخذا وعطاء وتأثرا وتأثيرا ، ثم تلى ذلك كله شيخوخة طويلة او قصيرة بحسب الظروف التي تمرى اللغة ، فاما تنتفض من تحت انقراض الزمن لتستعيد مكائنها وحيويتها من جديد ، واما تنزوى وتستكين حتى تنطفئ من ذاكسرة المتكلمين ، فيكون ذلك موتها وانذارها .

واذق مراحل اللغة هي مرحلة النضج الكامل المسؤول عن فكر علمى وادبى وفلسفى ضخيم . ذلك أن الفكر الانسانى بطبيعته متطلع دائما الى التقدم نحو المجهول ، لكشفه وتوضيح كنهه . وهنا ينمقد سباق رهيب بين الفكر واللغة ، لا بد لهذه الاخيرة فيه أن تلاحق خطواته ، وأن تظل دائما على مستواه ، والا تركها ، وبمدت الشقة بينه وبينها ، فيكون من ذلك تبلبل الالسنه ، واضطراب الاساليب ، وتصدع التواعد .

وتحتاج اللغة في هذا السباق الى صيانة عليية مستبصرة ، لعل أهم ما فيها هو الصناية بحصر شواهدما النصيحة ، وتصنيف اساليبها الصحيحة ، وتسجيل تواعدها تسجيلا يجمع بين الدقة والوضوح ، والترتيب المنطقى ، والتجاوب مع المطالب العملية للمتكلمين .

وقد وجدت اللغة العربية نفسها في مرحلة النضج الكامل هذه بعد ظهور الاسلام ، وبعد أن بدأت تحمل مسؤولية حضارة كاملة لا تحتاج ما

بحث مقدم الى مهرجان سيبويه بجامعة بهلوى بشيراز - 1974 .